موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية

(٢١)

حفظ اللسان

الباحث الرئيسي ورئيس الفريق العلمي
أ.د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك

www.mtenback.com

دار رواح للنشر والتوزيع

ح مرزوق بن صنيتان بن تنباك ، ١٤٢١ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية/مرزوق بن صنيتان بن تنباك ... [أخ]. الرياض.

٥٢ ج؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

٠-٢٠٦-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٢١)

١- الأدب العربي – موسوعات أ- ابن تنباك ، مرزوق بن صنيتان (م . مشارك)

ديوي ٨١٠,٣ ٢١/٢٠٧٨

رقم الإيداع : ٢١/٢٠٧٨

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

٠-٢٠٦-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٢١)

www.mtenback.com

فهرس المحتويات

الموضـــوع	الصفحة
توطئة	٥
حفظ اللسان لغةً	٧
حفظ اللسان اصطلاحًا	٨
من فوائد حفظ اللسان بالصمت	١١
من فوائد إطلاق اللسان بالكلام	١٣
آفات اللسان	١٥
الكذب	٢٦
الغيبة	٣٧
النميمة	٤٧
اللغو وكثرة الكلام	٥٥
التقعر في الكلام ورفع الصوت	٦٤
المراء والجدل	٦٩
التملق والنفاق	٧٤
الفهارس	٨٥

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فَإِذَا رُزِقَتْ خَلِيقَةً مَحْمُودَةً فَقَدِ اصْطَفَاكَ مُقَسِّمُ الأَرْزَاقِ

فَالنَّاسُ هَذَا حَظُّهُ مَالٌ وَذَا عِلْمٌ وَذَاكَ مَكَارِمُ الأَخْلَاقِ

حَافِظ إِبْرَاهِيم

موقع الدكتور مرتضى بن زنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

توطئة:

اللسان ترجمان القلب في حياة الإنسان، ووسيلة تكشف حقيقة ما في نفسه من نوايا الخير والشر، والحب والكره، والسرور والحزن.. وبواسطته يعبر الإنسان عن نفسه ويتصل مع الناس في المجتمع.

واللسان ميزان المرء، ومحلّ المحاسبة لكثير من تصرفاته، إذ يكشف الكلام أخلاقه وانطباعاته واهتماماته، فيحظى بذلك بالقبول، أو يبوء بالإنكار والرفض من المجتمع.. فالكلام مَغْرسه القلب وجانيه اللسان. ولهذا كان المعوّل على ما يظهر منه، والتدقيق على ما يرمي مقصوده، لأنه مرآة النفس ومُجْلِي الأفكار. قال الشاعر[1]:

إِنَّ الكَلامَ مِنَ الفُؤادِ وَإِنَّما ... جُعِلَ اللِّسانُ عَلى الفُؤادِ دَلِيلا

وكان من الحكمة أن يراقب العاقل ما ينطلق به لسانه، ما دام اللسان يعبّر - في أكثر الأحيان - عن شخصية صاحبه، وينقل ما في نفسه إلى العلن. إذ يقول الشاعر[2]:

لِسَانُ الفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ ... فَلَمْ يَبْقَ إِلاّ صُورَةُ اللَّحْمِ وَالدَّمِ

ولقد زخرت كتب التراث بأخبار ومواعظ وحكمٍ تدعو الإنسان إلى حفظ لسانه وتقييده وعدم إطلاقه، وإلى تفضيل السكوت على الكلام أحيانًا، لأن في السكوت سلامةً وفي الكلام تعرضًا للزلل والخطأ. كما قال القائل[3]:

النُّطْقُ زَيْنٌ وَالسُّكُوتُ سَلامَةٌ ... فَإِذا نَطَقْتَ فَلا تَكُنْ مِكْثارا

---

[1] الوشاء، محمد بن إسحق: الموشّى أو الظرف والظرفاء، دار صادر ودار بيروت، بيروت، (١٣٨٥هـ/١٩٦٥م) ص١٦.

[2] نسبهما الجاحظ إلى الأعور الشنّي: الجاحظ، عمرو بن بحر: البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، دمشق، دار الفكر، ج١، ص١٧١.

[3] السمرقندي، نصر بن محمد، أبو الليث: تنبيه الغافلين في الموعظة بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين، دمشق، الشركة المتحدة للتوزيع، دار أسامة، (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ص١١٣.

www.mtenback.com

ما إِنْ نَدِمْتُ عَلَى سُكُوتِي مَرَّةً وَلَقَدْ نَدِمْتُ عَلَى الكَلامِ مِرارا

ودعا آخرون إلى الكلام ما دام فيه نفع وصواب، وإن لم تكن فيه فائدة فالأولى هو الصمت والسكوت. قال أبو الفتح البستي[٤]:

تَكَلَّمْ وَسَدِّدْ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّمَا كَلامُكَ حَيٌّ وَالسُّكُوتُ جَمادُ

فَإِنْ لَمْ تَجِدْ قَوْلاً سَدِيْدًا تَقُولُهُ فَصَمْتُكَ عَنْ غَيْرِ السَّدَادِ سَدادُ

والواقع أن (حفظ اللسان) هو ضمان الإنسان الذي يسعى لإنجاح حياته وقضاء حوائجه وإقامة علاقات حيادية، إن لم نقل إيجابية، مع أبناء جنسه، بما يحقق له السلامة وحسن السيرة والذكر الحميد بين الناس.

ومن هنا كان هذا الباب من الأخلاق الفردية والاجتماعية بابًا خطيرًا يجب تناوله بالدرس والتحليل، والاطلاع على ما نصح به العلماء والحكماء في هذا المجال، سعيًا للالتزام بهذا الخلق وجني فوائده وحسناته، ونجاةً من عواقب تركه والإعراض عنه.

[٤] البستي، أبو الفتح: ديوانه، تحقيق: درية الخطيب ولطفي الصقال، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية، (١٤١٠هـ/١٩٨٩م)، ص٧٢.

www.mtenback.com

حفظ اللسان لغة:

الحفظ لغة[٥]:

حَفِظَ الشيء يَحْفَظه حِفْظًا: صانه وحرسه. وحفظ العهد: لم يخنه، وحفظ العلم والكلام: ضبطه ورعاه. فهو حافظ وحفيظ.

وحافظ على الشيء محافظة وحِفاظًا: رعاهُ وذبّ عنه أو واظب عليه.

اللسان لغة:

اللسان جارحة الكلام أو المَقْوَل؛ فهو آلة القول وعضو الكلام. جمعه: أَلْسِنَة وأَلْسُن ولُسُن. ولَسِنَ، يَلْسَن: فَصُح وبَلُغ، واللَّسَن: الفصاحة.

وأَلْسَنَ فلان: فَصُح وتكلم كثيرًا وألسن فلانًا رسالته: أبلغه إياها. ولاسنه: ناطقه وقاوله. يقال: بينهما ملاسنةٌ. وتلسّن عليه: كذب.

وتخرج هذه الكلمة إلى معانٍ مختلفة أهمها:

اللغة: جاء في التنزيل العزيز: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾[٦] و﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾[٧].

والكلام: قال الحطيئة[٨]:

نَدِمْتُ عَلَى لِسَانٍ فَاتَ مِنِّي ... فَلَيْتَ بِأَنَّهُ فِي جَوْفِ عَكْمِ

والرسالة: قال الأعشى[٩]:

---

[٥] انظر: إبراهيم أنيس وزملاؤه: المعجم الوسيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، (د.ت)، مجلدان، مادة حفظ.

[٦] سورة مريم: ٩٧.

[٧] سورة إبراهيم: ٤.

[٨] الحطيئة، جرول بن أوس: ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت، تحقيق: د. نعمان محمد أمين طه، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط١، (١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ص١٩٧.

[٩] انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د.ت)، مادة (لسن).

www.mtenback.com

إِنِّي أَتَتْنِـــي لِســـانٌ لا أُسَـــرُّ بِهـــا مِنْ عَلْوَ لا عَجَبٌ مِنْهـــا وَلا سَـــخَرُ

والثناء: قال تعالى: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾[10].

والمتكلم عن القوم: هو لسان القوم.

ولسان النار: شعلتها. يقال: طَفِئَ لسانُ النار[11].

حفظ اللسان اصطلاحًا:

المراد منه في الاصطلاح هو كفّ اللسان عن الكلام في كل ما يخالف الشـــرع، والآداب والأخلاق العامة، وعن الخوض فيما تقتضي الحكمة السكوت فيه، بما يحفـــظ على الإنسان مروءته وكرامته، فلا يتجرأ عليه أحدٌ من الناس، ولا يُتَّهم في ســـيرته، ولا يُظَن فيه الخروج على أعراف المجتمع وعاداته ونظمه.

لقد حذّر القرآن الكريم من مغبة استعمال اللسان دون التزام بضوابـــط الحـــق والفضيلة، وأكدّ على الشعور بالمسؤولية ومحاسبة النفس قدر المستطاع قبل أن ينطـــق اللسان بكلمة. لأن كل كلمة تُسَجَّل في صحيفة صاحبها، وهو محاسَب عليها. قـــال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ. إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ. مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[12].

وكذلك دعا الشعراء والحكماء إلى عدم إلقاء الكلام على عواهنه، بـــل يجـــب التحلي بالصبر والاتزان، لأن الكلام الذي لا يلجمه عقل يفضح صاحبه ويعيبه أمـــام الناس. قال الشاعر[13]:

---

[10] سورة الشعراء: ٨٤.

[11] الزمخشري، محمود بن عمر: أساس البلاغة، تحقيق: عبد الرحيـــم محمـــود، دار المعرفـــة، بـــيروت، (١٤٠٢هـــ/١٩٨٢م)، وابن منظور، ود. أنيس وزملاؤه: المعجم الوسيط.

[12] سورة ق الآيات ١٦-١٨.

[13] الماوردي، علي بن محمد: أدب الدنيا والدين، تحقيق: مصطفى السقا، دار الفكر، (د.ت)، ص٢٦٨.

www.mtenback.com

وَزِنِ الْكَلامَ إِذا نَطَقْتَ فَإِنَّما ... يُبْدِي عُيُوبَ ذَوِي الْعُيُوبِ الْمَنْطِقُ

وينصح أبو العتاهية بأن يكون الكلام دقيقًا مباشرًا يتجه إلى غاية شريفة، بعيدًا عن الحشو والعبث. وإذا لم يكن له الأمر كذلك فالأولى هو الصمت، فهو خير من الكلام في غير وقته المناسب، يقول[١٤]:

وَالصَّمْتُ أَلْيَقُ بِالْفَتى ... مِنْ مَنْطِقٍ فِي غَيْرِ حِينِهْ

لاخَيْرَ فِي حَشْوِ الْكَلا ... مِ إِذا اهْتَدَيْتَ إِلى عُيُونِهْ

وللسان وظيفة نبيلة في التغاضي عن إساءة المسيء، والرد على كلام الجاهل بمعروف القول، فتكون هذه دعوةً أخلاقية وتربوية يقوم بها أصحاب النفوس الزكية في المجتمع. قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾[١٥].

وجعل النبي ﷺ حفظ اللسان وكفه عن الأذى، علامةً أو شرطًا من شروط الإسلام، فقال: «المسلم مَن سلم المسلمون من لسانه ويده»[١٦].

وأشار ﷺ إلى أن اللسان مرآة القلب يكشف ما فيه من الخير أو الشر، وأوصى بأن يزكّي الإنسان قلبه ولسانه، فقال: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة رجلٌ لا يأمن جاره بوائقه»[١٧].

---

[١٤] أبو العتاهية، أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم: أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تحقيق: شكري فيصل، دمشق، مطبعة جامعة دمشق، (١٣٨٤هـ/١٩٦٥م) ص٤٠٣.

[١٥] سورة الفرقان: ٦٣.

[١٦] البخاري: صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى البغا، دمشق، دار العلوم الإنسانية، ط٢، (١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ج١، ص١٣، رقم الحديث (١٠).

[١٧] أحمد: مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: أحمد شاكر، القاهرة، دار الحديث، ط١، (١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، ج٢٠، ص٣٤٣.

www.mtenback.com

فالإيمان حاجز للّسان عن الأذى وعمل السوء، ولقد اقترن ذكر الإيمان مع حفظ اللسان في مواضع عدة، منها قول النبي ﷺ: «مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»[١٨].

وأول فوائد حفظ اللسان حسن الذكر بين الناس وصون المروءة، ولذلك قال الإمام علي رضي الله عنه: «لسان العاقل وراء قلبه، وقلب الأحمق وراء لسانه»[١٩].

وإذا تهاون صاحب اللسان في حفظه فلربما قاده إلى الهلاك، قال الشافعي[٢٠]:

كَمْ في المَقَابِرِ مِنْ قَتِيلِ لِسَانِه ... كَانَتْ تَهَابُ لِقَاءهُ الأَقْرَانُ

فكأن الإنسان يحمل في فمه سلاحًا فتاكًا يسبب له الموت إذا غفل عنه أو أخطأ في استعماله. وقد قال العرب في أمثالهم[٢١]: مقتل الرجل بين فكّيه.

لقد مَنّ الله تعالى بنعمة البيان على الإنسان، وذكّر بذلك في قوله: ﴿الرَّحْمَنُ. عَلَّمَ الْقُرْآنَ. خَلَقَ الإِنْسَانَ. عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[٢٢]. وكان ذلك إشارة إلى أهمية هذه النعمة ووظيفتها الكبرى في حياة الإنسان.

وقديمًا ميّز الفلاسفة الإنسان من سائر الخلائق الأخرى بالنطق، فقالوا في وصفه: الإنسان حيوان ناطق.

---

[١٨] البخاري: صحيح البخاري، ج٤، ص٢١٠٩، رقم الحديث ٥٦٧٢.

[١٩] الشريف الرضي، محمد بن الحسين الموسوي، نهج البلاغة لأمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب، تحقيق: عزيز الله العطاردي، مؤسسة نهج البلاغة بإيران، ط٢، (١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، ص٤١٢.

[٢٠] الشافعي، محمد بن إدريس، ديوان الإمام الشافعي، جمعه وشرحه: محمد عفيف الزعبي، دار الجيل، بيروت، (١٣٩١هـ/١٩٧١م)، ص٨٢.

[٢١] الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد: مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار النصر، بيروت، دمشق، (د.ت)، ج٢، ص٢٤٥.

[٢٢] سورة الرحمن: ١-٤.

www.mtenback.com

والحق أن النطق نعمة عظمى يعبر بها الإنسان عن رغباته، ويصل بها إلى غاياته، ويسخرها في تنظيم علاقاته، فبها تتألف اللغات، وبواسطتها تتواصل المجتمعات، ويتعارف الناس ويتفاهمون، ويتعاونون.

ولكن هذه النعمة قد تتحول إلى نقمة وخطر كبير إذا لم يُحْسن الاستفادة منها وتوجيهها وتقويمها. وهذا ما حدا بكثير من الحكماء والأدباء من قديمٍ إلى تفضيل الصمت وتقديمه على الكلام جملةً، ورأوا في الكلام مزلقًا متوقعًا للأذى والضرر الذي يصعب إصلاحه بعد وقوعه.

وسوف نمهد لبحثنا في حفظ اللسان، بمقارنة موجزة نستقرئ فيها فوائد كلٍّ من الصمت والتكلم، ومحاذيرهما. فقد تقابلت الآراء واختلفت المذاهب، وإن كان العقلاء جميعًا قد أقرّوا بضرورة الكلام النافع وفائدته، ثم تضاربت آراؤهم في قيمة التزيد في الكلام وآثار ذلك ونتائجه.

من فوائد ضبط اللسان بالصمت:

رأى الحكماء أن عقل المرء مخبوء تحت لسانه، وإن كثرة الكلام تكشف عيوب الإنسان المستورة، وأن لزوم الصمت يُلْبس صاحبه لبوس الحكمة. وقرّر بعضهم أن الرغبة في الكلام هي بحد ذاتها دافعٌ إلى الخطأ! وأن خير الكلام ما كان بغير دافع لذةٍ إليه. ذكروا أنه سأل رجلٌ حكيمًا: متى أتكلم؟ قال: إذا اشتهيت الصمت، فقال: ومتى أصمت؟ قال: إذا اشتهيت الكلام[٢٣]. وكان كثير من العرب ينفرون من إكثار الكلام ويجدون فيه فضولاً وخِفّةً وإنقاصًا من المروءة.

وكان بعضهم يمنع لسانه من الكلام المباح بحجة انتفاء المنفعة من ذلك، ولا يكتفي بامتناعه بل يعترض على من يخوض معه في أحاديث لا طائل منها برأيه! ذكر التوحيدي أن بعض المشايخ دخل حمّامًا فوجده حارًا، فقال لمن بجنبه: ما أحّر هذا

[٢٣] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص٢٦٩.

www.mtenback.com

الحمّام؟ قال: ذاك كأني لا أعلم أنك تجد من حرارة هذا البيت ما أجد، حتى تتجرد لهذا القول وتشغل نفسي بهذا الخبر وتقيه لسانك بهذا فما الذي أفاد هذا أحدنا[٢٤]؟!

لا شك أن في هذا الحفظ الزائد للّسان مجاوزةً للحدّ وأخذًا للنفس بما يشقّ عليها وتكليفًا لها بما لا تطيق.

والصمت بعد ذلك يدفع عن الجاهل ويصونه، ويكف عنه الألسنة والتجريح له. فقد قيل: «صمت الجاهل ستره»[٢٥]. وكتب الأخبار تحفل بطرائف ونوادر عن جهلة نفعهم صمتهم حينًا، لكنّ فساد طبائعهم لم يلبث أن كشفت حالهم للناس. من ذلك ما حكي من أنّ رجلاً كان يجلس إلى أبي يوسف الفقيه، فيطيل الصمت، فقال له أبو يوسف: ألا تسأل؟ قال: بلى، متى يُفطِر الصائم؟ قال: إذا غربت الشمس. قال: فإن لم تغرب إلى نصف الليل؟ فتبسم أبو يوسف وتمثل ببيتي الخَطَفَى جدّ جرير[٢٦]:

عَجِبْتُ لإِزْرَاءِ العَيِيِّ بِنَفْسِهِ ... وَصَمْتِ الَّذِي قَدْ كَانَ بِالقَوْلِ أَعْلَمَا

وَفِي الصَّمْتِ سَتْرٌ لِلْعَيِيِّ وَإِنَّمَا ... صَحِيفَةُ لُبِّ المَرْءِ أَنْ يَتَكَلَّمَا

فقد أزرى هذا المتكلم بنفسه، إذ لم يحفظ لسانه ويَصُنْهُ عن الزلل فيما لا يقع فيه عاقل.

ومن وجوه ضبط اللسان، مخاطبة كل إنسان بما يفهم؛ والتعامل معه بما اعتاد من أساليب التواصل. فقد ورد في الحديث: «أُمِرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم»[٢٧]،

---

[٢٤] التوحيدي، أبو حيان: البصائر والذخائر، تحقيق: وداد القاضي، بيروت، دار صادر، ط١، (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ج٧، ص٢٣١.

[٢٥] تيمور، أحمد: علي بن أبي طالب، شعره وحكمه، القاهرة، لجنة نشر المؤلفات التيمورية، ط١، (١٣٧٨هـ/١٩٥٨م)، ص٦٩.

[٢٦] انظر: الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص٢٦٦-٢٦٧.

[٢٧] العجلوني، إسماعيل بن محمد: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عمّا اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، صححه وعلق عليه: أحمد القلاش، حلب، مكتبة التراث الإسلامي، (د.ت)، ج٢، ص٢٢٥.

www.mtenback.com

ومثله ما قاله عبد الله بن مسعود: «ما أنت بمحدثٍ قومًا حديثًا تبلغه عقولهم إلا كان فتنةً لبعض»[٢٨].

لقد اهتم علماء العرب وحكماؤهم بوضع نظام وقواعد تحقّق الفائدة من حفظ اللسان وتضبطه بعيدًا عن ألوان القول الفاسد، ممّا لا يعود بنفع ولا إصلاح. ومن هؤلاء الإمام الماوردي الذي أثبت شروطًا لا يسلم المتكلم من الزلل إلاّ بالأخذ بها، والعمل بمقتضاها. وهو يحصرها في أربعة:

أولها: أن يكون الكلام لداعٍ يدعو له، إمّا في اجتلاب نفع أو دفع ضرر، وثانيها: أن يأتي به في موضعه، ويتوخى به إصابة فرصته، وثالثها: أن يقتصر منه على قدر حاجته، ورابعها: أن يتخيّر اللفظ الذي يتكلم به[٢٩].

من فوائد إطلاق اللسان بالكلام:

إنه لا يصحّ أن يكون حفظ اللسان مدعاة جفاءٍ ومخالفة لطبع الإنسان المركب على الحاجة إلى الترويح عن النفس بين فترة وأخرى، وعدم السير على طريقة واحدة إذ تصاب النفس بالسأم والضجر وتفتر الهمة لما يجب أن تأخذ به من الجدّ والعمل.

ولذلك احتاج الإنسان للترويح والتفكه بأفانين من القول والكلام، وضروب من الأحاديث ونقل الأخبار، ممّا لا يخالف حفظ اللسان وغاياته. ومن هنا أكدّ كثير من العلماء والأدباء على ضرورة أن ينشط الإنسان لتحميل لسانه فنون الكلام وأساليبه. وكان العرب من قديم يرسلون أبناءهم صغارًا إلى البوادي لينشؤوا على الفصاحة وحسن البيان، وتتقوّم ألسنتهم ببليغ كلام العرب.

---

[٢٨] المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله، محمد بن مفلح: الآداب الشرعية والمنح المرعية، دار العلم للجميع، بيروت، (١٩٧٢م)، ج٢، ص١٦٥.

[٢٩] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص٢٦٦.

www.mtenback.com

وكان العرب في سائر عصورهم الحضارية يتباهون بامتلاك ناصية اللسان وجودة التعبير. يروى أن رجلاً تكلم بين يدي المأمون فأحسن، فقال المأمون: ابنُ مَن أنـــت؟ قال: ابن الأدب يا أمير المؤمنين. فقال: نعم الحسب الذي انتسبت إليه[٣٠].

ورأوا أنّ من علامة النقص في الرجل أن يعجز عن البيان بلسانه، وما أعجز أن يكون له وجه حسن ثم لا يكون معه قدرة على إدلاء حجته بلسانه. قال الشاعر[٣١]:

وَمَا حُسْنُ الرِّجـالِ لَهُـمْ بَحُسْـنٍ ... إذا لَـمْ يُسْـعِدِ الحُسْـنَ البَيـانُ

كَفـى بِـالمَرْءِ عَيْبًـا أَنْ تَـراهُ ... لَـهُ وَجْـهٌ وَلَيْـسَ لَـهُ لِسـانُ

ونبّه حكماؤهم إلى فضل اللسان والسبب الذي خلقه الله لأجله، وهو الكـلام النافع الذي ينال به صاحبه تقدير الناس واحترامهم قال شاعر[٣٢]:

خُلِـقَ اللِّسـانُ لِنُطْقِـهِ وَكَلامِـهِ ... لا لِلسُّكُوتِ وَذاكَ حَظُّ الأَخْـرَسِ

فَإِذا نَطَقْتَ فَكُـنْ مُجِيبًـا سـائِلاً ... إِنَّ الكَـلامَ يَزِيـنُ رَبَّ المَجْلِـسِ

وقال عباية الجُعْفِيّ: لولا الدربة وسوء العادة لأمرتُ فتياننا أن يماري بعضهـم بعضًا[٣٣].

لقد أدرك هذا الرجل مخاطر تخفيف القيود عن اللسان، لكنه وازى بين ذلـك وبين فوائد إطلاق اللسان بالكلام، فرجح عنده نفع الكلام مع ضوابط تحفظ اللسان.

---

[٣٠] الوطواط، محمد بن إبراهيم الكتبي: غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائض الفاضحة، بـيروت، دار صعب، بلا تاريخ، ص١٤١.

[٣١] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص٦٦.

[٣٢] الوطواط: غُرر الخصائص الواضحة وغُرر النقائض الفاضحة، ص١٤٢.

[٣٣] الجاحظ، عمرو بن بحر: البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هـارون، دار الفكـر، دمشـق، ج١، ص٢٧٢.

www.mtenback.com

وقال بعضهم: أخزى الله المساكتة! فما أفسدها للّسان، وأجلبها للعيّ[٣٤] والحصر[٣٥]. والله لَلْمُمَارَاةُ في استخراج حق أسرع في هدم العِيّ من النار في يابس العرفج[٣٦]. فقيل له: قد عرفت ما في المماراة من الذّم. فقال: إن ما فيه أقلّ ضرراً من السكتة التي تورث عللاً وتولّد أدواءً أيسرها العيّ[٣٧].

إن هذه الدعوات المتكررة من البلغاء والفصحاء والمتكلمين إلى إطلاق اللسان من عقاله وإفساح المجال له بحرية التعبير وتناول الموضوعات بالتعليق والوصف والتحليل، لا تتنافى في الحقيقة، مع ما حثّت عليه الشرائع والآداب وقرائح الحكماء، من حفظ اللسان وصونه وإقامة رقيب عليه يحصي كلامه ويمحّص صوابه.. وما حفظ اللسان إلا نفيٌ لكلّ ما تمنع الحكمة جريانه على اللسان ووقوعه في حيز الوجود، وضبطٌ له بما يوافق الشرع والأعراف العامة، وهو ما يرد تفصيله.

آفات اللسان:

بحث علماء الأخلاق والآداب في هذه الآفات وبسطوا القول عليها حتى أوصلوها إلى عشرين آفة منها:

الكلام فيما لا يعني، فضول الكلام، الخوض في الباطل، التقعر في الكلام، الفحش والسبّ وبذاءة اللسان، المزاح، السخرية، إفشاء السر، الغيبة، النميمة، كلام ذي اللسانين، المدح، الخطأ في فحوى الكلام، إخلاف الوعد، الكذب، المراء والجدل، الخصومة، اللعن[٣٨].

---

[٣٤] عيّ في منطقه عَيًّا: عجز عنه فلم يستطع بيان مراده منه، وعيّ الأمر: جهله.

[٣٥] حَصِر، حَصَرًا: ضاق صدره، ومُنِع من شيء. وحصِر القارئ: عيّ في منطقه و لم يقدر على الكلام.

[٣٦] العرفج: نبات برّي.

[٣٧] البيهقي: إبراهيم، بن محمد: المحاسن والمساوئ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، ج٢، ص٣١.

[٣٨] انظر: الغزالي: محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ، ج٣، ص١٠٨.

www.mtenback.com

ولا شك أن بعض هذه الآفات يمكن أن يكون فرعًا عن بعضها الآخر مما يدعو إلى حصرها في تسع آفات وسيحاول البحث أن يأتي عليها، مبينًا سبل النجاة من كل منها:

- الفحش والسبّ
- الكذب
- الغيبة
- النميمة
- اللغو وكثرة الكلام
- التقعر في الكلام ورفع الصوت
- المِراء والجدَل والخصومة
- التملّق والنفاق
- السخرية والاستهزاء وكثرة المُزاح.

ممّ يحفظ اللسان؟

يحفظ اللسان من الفحش وهو: القبيح من القول والفعل[٣٩]، وهو: التعبير عن الأمور المستقبحة بالعبارات الصريحة[٤٠]. والسبُّ: الشّتم[٤١].

ويجمع الفحشَ والسبَّ بذاءة اللسان، وهي من الأخلاق المذمومة التي يترفّع عنها كل ذي طبع سليم وفطرة صافية فضلاً عن أن يكون ذا دين قويم وورع يقيه من التردّي في حمأة الرذيلة ويسمو به للتحلّي بكل فضيلة. روي: شتم رجل حكيمًا، فقيل: له هلاّ غضبتَ! فقال: كفاه خِسّةً أن يَشتم ولا يُشتم[٤٢].

---

[٣٩] ابن منظور، اللسان (فحش).

[٤٠] الغزالي: إحياء علوم الدين ج٣، ص١٢٢.

[٤١] ابن منظور، اللسان (سب).

[٤٢] الزمخشري، محمود بن عمر، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق: د. سليم النعيمي، قم، إيران، دار الذخائر للمطبوعات، ط١ (١٤١٠هـ)، ج٢، ص ٤٢٨.

www.mtenback.com

وقد اتفقت الشرائع على ذمّ هذا الخلق والنهي عنه، والأمر بحفظ اللسان وتعهده. جاء في كلام لقمان لابنه وهو يعظه: «إذا كان خازنكَ حفيظًا وخزانتك أمينةً رشدْتَ في أمريك دنياك وآخرتك، يعني القلب واللسان»[٤٣]. وقال امرؤ القيس[٤٤]:

إِذَا المَرْءُ لَمْ يَخْزُنْ عَلَيْهِ لِسَانَهُ فَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ سِوَاهُ بِخَزَّانِ

للفحش اللفظي أنواع منها ما يكون تصريحًا ببعض أسماء الأعضاء وبعض الأمراض الجسدية، أو يكون سبًّا وبذاءة ولعنًا وتناولاً للأعراض.

فمن أنواعها التصريح بأسماء الأعضاء التي يحتشم من ذكرها كالقُبُل والدُّبر وما أشبه ذلك من ألفاظ الوقاع والجماع. وقد أدبّنا الإسلام بأدب القرآن الذي لم يصرح بمثل هذه التسميات وإنما كنّى عنها واستعمل أرقّ التعابير في الإشارة إليها. قال ابن عباس: «إن الله حَيِيٌّ كريمٌ يعفو ويكنّي، كنّى باللمس عن الجماع» فالمسيس والمس والدخول والصحبة كناياتٌ عن الوقاع وليست بفاحشة[٤٥]. تدبر قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[٤٦]، تجد ضربًا عجيبًا من تخيّر الألفاظ اللطيفة الرقيقة العذبة للتعبير عن أدقّ المعاني الجنسية. ولاغرو فالبيان السماوي أجلُّ وأعلى وأسمى من أن يتدنّى إلى أي أسلوب لايليق قوله أو سماعه.

---

[٤٣] ابن منظور، اللسان (خزن).

[٤٤] امرؤ القيس، ديوانه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف بمصر، ط٣، (د.ت)، ص٩٠.

[٤٥] الغزالي: إحياء علوم الدين ١٢٢/٣.

[٤٦] سورة الأعراف: ١٨٩.

www.mtenback.com

ولا يقتصر هذا النوع على التصريح بأسماء الأعضاء أو الوقاع، بل يشمل التصريح بذكر بعض العيوب أو الأمراض الجسدية التي يُستَحَى من ذكرها فلا ينبغي أن يعبر عنها بصريح لفظها كالبرص والقرع والبواسير بل يقال: العارض الذى يشكوه، وما يجري مجرى ذلك.

وقد كان كرام الناس والعلية من القوم يوصفون بنبل منطقهم وتحفظهم في كلامهم. قال أبو عبيد: «ما رأيت رجلاً قطّ أشد تحفظًا في منطقه من عمر بن عبدالعزيز»[٤٧]. وقال أمية بن عبد الله: «كنا عند عمر بن عبدالعزيز، فقال رجل لرجلٍ: تحت إبطك! فقال عمر رضي الله عنه: وما على أحدكم أن يتكلم بأجمل ما يقدر عليه؟ قالوا: وما ذاك ؟ قال: لو قال: تحت يدك كان أجمل»[٤٨].

ومن أنواع الفحش: السبُّ والشتم وهما من مظاهر اللؤم. يقال: «ما استبَّ رجلان إلا غلب ألأمهما»[٤٩]. وقال حكيم: «لا أحب أن أكون في حربٍ الغالب فيه شر من المغلوب»[٥٠]. ولهذا نزّه الفضلاء أنفسهم عن السبّ والشتم وإن سُبّوا وشُتموا. قال حاتم الشاعر:

وَلَقَدْ أَمُرُّ عَلَى اللَّئِيمِ يَسُبُّنِي ... فَمَضَيْتُ ثُمَّتَ قُلْتُ لاَ يَعْنِينِي

غَضْبَانَ مُمْتَلِئًا عَلَيَّ إِهَابُهُ ... إِنِّي وَرَبِّكَ سُخْطُهُ يُرْضِينِي

وأتى رجل ابن عمر فقال له: إن فلانًا شتمك فقال: إني وأخي عاصمًا لانُسَابُّ أحدًا[٥١].

---

[٤٧] ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد: الصمت وآداب اللسان، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطار، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط٢، (١٤١٦هـ/١٩٩٦م)، ص٢٥٢.

[٤٨] المصدر السابق نفسه.

[٤٩] الزمخشري: ربيع الأبرار، ج، ص ٤٣٦.

[٥٠] المصدر السابق نفسه.

[٥١] ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم الدينوري: عيون الأخبار، بيروت، دار الكتاب العربي، (د.ت)، ج٢، ص٢٣.

www.mtenback.com

ومن أسوأ أنواع السب والشتم اللعن الموجّه إلى الوالدين وقد جعل الإسلام ذلك من الكبائر، إذ قال الرسول ﷺ: «إن من أكبر الكبائر أن يلعنَ الرجل والديه، قيل يا رسول الله! وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: يسب الرجلُ أبا الرجل، فيسبُّ أباه، ويسبُّ أمّه، فيسبُّ أمّهُ»[٥٢].

واللعن مذموم بكل أنواعه وأشكاله، وحسبه مذمّةً وسوءاً أنه لا يتصف به المؤمن حيث قال: «ليس المؤمن بطعّان ولا بلعّانٍ ولا الفاحش البذيء»[٥٣] وجعل لعن المؤمنِ كقتله، حيث قال: «ومن قذف مؤمنًا بكفرٍ فهو كقتله»[٥٤].

حكم الفحش:

تضافرت النصوص الشرعية والأدبية على النهي عن الفحش والسّبّ والبذاء. فمن ذلك قوله ﷺ: «إياكم والفحش فإن الله تعالى لا يحب الفحش ولا التفحُّش»[٥٥]. ومن ذلك قوله أيضًا: «سباب المؤمن فسوق، وقتاله كفر»[٥٦]. ولا أدل على النكر على من كانت فيه تلك السيئات من أن النبي ﷺ وُصِفَ بأنه: «لم يكن فاحشًا ولا متفحّشًا»[٥٧] «ولم يكن سبابًا ولا فحاشًا ولا لعانًا»[٥٨]. بهذه

---

[٥٢] رواه البخاري من حديث عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما، انظر البخاري، صحيح البخاري، ج٥، ص٢٢٢٨، (رقم ٥٦٢٨).

[٥٣] رواه أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج٦، ص٣٩٠ (رقم ٣٨٣٩).

[٥٤] رواه البخاري من حديث ثابت بن الضحاك رضى الله عنه، انظر البخاري، صحيح البخاري، ج٥، ص ٢٢٤٨ (رقم٥٧٠٠).

[٥٥] رواه أحمد من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، انظر أحمد بن حنبل، المسند، تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة، دار الحديث، ط١(١٤١٦هـ/١٩٩٥م) ٢٠جزءًا، ج٦، ص٣١٠ (رقم ٦٧٩٢).

[٥٦] البخاري: صحيح البخاري، باب ما ينهي من السباب واللعن،ج١، ص٢٧ (رقم ٤٨).

[٥٧] المصدر السابق، باب لم يكن النبي ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا، ج٥، ص٢٢٤٣ (رقم ٥٦٨٢).

[٥٨] المصدر السابق نفسه، (رقم ٥٦٨٤).

www.mtenback.com

الأخلاق النبيلة علّمنا كيف نعامل أنفسنا وإخواننا والناس جميعًا وجعل سلم التفاوت والتمايز بين الناس أخلاقهم الحميدة، فقال: «إن أخيركم أحسنكم خلقًا»[٥٩].

وتبارى الشعراء والأدباء في التنفير من هذا الخلق الذميم، والحثّ على عفّة اللسان وتجنيبه ما يسيء فقال أحدهم[٦٠]:

عَيٌّ عَنِ الْفَحْشَاءِ أَمَّا لِسَانُهُ ... فَعَفٌّ، وَأَمَّا طَرْفُهُ فَكَلِيلُ

وقال أبو تمام[٦١]:

أُذُنٌ صَفُوحٌ لَيْسَ يَفْتَحُ سُمَّهَا ... لِدَنِيَّةٍ وَأَنَامِلٌ لَمْ تُقْفَلِ

وقال الموسوي[٦٢]:

وَلاَ أَعْرِفُ الْفَحْشَاءَ إِلاَّ بِوَصْفِهَا ... وَلا أَنْطِقُ الْعَوْرَاءَ وَالْقَلْبُ يُعْرِبُ

وقال رجل لأبي بكر رضي الله عنه: «والله لأسبنّك سبًّا يدخل القبر معك.قال معك يدخل لا معي»[٦٣] إشارة إلى ما سيناله من عقاب على سبّه. وشتم رجل الشعبّي، فقال له: «إن كنت صادقًا فغَفَرَ الله لي، وإن كنتَ كاذبًا فغفرَ الله لك»[٦٤].

وقال الأحنف بن قيس: «ألا أخبركم بأدوأ الداء؟ اللسان البذيء والخلق الدنيء»[٦٥].

---

[٥٩] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأدب باب حسن الخلق والسخاء، ج٣، ص١٣٠٦، رقم الحديث: ٣٣٦٦.

[٦٠] الراغب الأصبهاني، حسين بن محمد: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، بيروت، دار مكتبة الحياة، ج١، ص٧٢.

[٦١] أبو تمام، ديوانه، ج٢، ص١٩.

[٦٢] الراغب الأصبهاني: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ج ١، ص٧٢.

[٦٣] ابن عبد ربه الأندلسي: أحمد بن محمد، العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين وزملائه، بيروت، دار الكتاب العربي (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ج٢، ص٢٧٥.

[٦٤] المصدر السابق، ج٢، ص٢٧٦.

[٦٥] الغزالي: إحياء علوم الدين، ١٢٢/٣.

www.mtenback.com

أسباب الفحش وآثاره:

نريد أن نرقب الظاهرة في المجتمع عامةً. وسنفيد هنا من علم الاجتماع اللغوي الذي درس تأثير البناء الخلقي في البناء اللغوي، ورصد مدى تسرب الغرائز إلى اللسان، فقرّر أن انحلال المجتمع وسقوطه في الفواحش ينشران القبح والبذاءة في لغته، وأن سمّوه بالغرائز، وحفاظه على نقاء الأعراض، يطهّران كلامه من الرفث والخبث[٦٦].

عقد د. علي عبد الواحد وافي موازنة بين اللغة اللاتينية واللغة العربية فقال: «اللغة اللاتينية لاتستحي أن تعبّر عن العورات والأمور المستهجنة والأعمال الواجب سترها بعبارات مكشوفة، ولا أن تسميها بأسمائها الصريحة، على حين أن اللغة العربية تتلمّس أحسن الحيل وأدناها إلى الحشمة والأدب في التعبير عن هذه الشؤون، فتلجأ إلى المجاز في اللفظ، وتستبدل الكناية بصريح القول: القُبل، الدُبر، قَارَبَ النساء، لمس امرأته، قضى حاجته»[٦٧].

ولقد كان لها بهذا الصدد في ألفاظ القرآن الكريم وعباراته أسوة حسنة: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾[٦٨]، ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾[٦٩] ﴿لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾[٧٠]، ﴿وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾[٧١]، ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ

---

[٦٦] طليمات، غازي مختار، في علم اللغة، دار طلاس، دمشق، ط١ (١٩٩٧م)، ص ٢٦.

[٦٧] وافي، علي عبد الواحد، اللغة والمجتمع، القاهرة، دار نهضة مصر (١٩٧١م).ص ١٨.

[٦٨] سورة البقرة: ٢٢٣.

[٦٩] سورة النساء: ٣٤.

[٧٠] سورة النساء: ٤٣.

[٧١] سورة النساء: ٢١.

www.mtenback.com

الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾[٧٢]، ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾[٧٣]، ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾[٧٤].

وأما آثار الفحش والسبِّ في المجتمع فهي كثيرة وخطيرة، ولعل أخطرها هذا التأثير المتبادل بين اللغة والمجتمع، فكما يؤثر المجتمع في اللغة فتولد صدًى لمفرداتها وما تتضمنه من معانٍ، فانتشار ألفاظ الفحش والبذاءة في مجتمع يمكن أن يسهم في إشاعة الفاحشة والتحللِ الأخلاقي في هذا المجتمع، وقد أنذر الله سبحانه من يقدم على ذلك بأشد العذاب: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٧٥].

هذا على صعيد المجتمع، أما على الصعيد الفردي، فإن الفحش والسبَّ يُخلّف أبلغ الأثر في النفس، فينتزع المحبة والمودة ويورث العداوة والبغضاء والغلَّ والحقد. ومن المعلوم أنّ مقالة السوء تعمل في النفس ما لا يعمله السلاح في الجسد، فتأثيرها ممتد، ومحو أثرها صعب أو محال. قال الشاعر[٧٦]:

وَجُرْحُ السَّيْفِ تُدْمِلُهُ فَيَبْرا ... وَجُرْحُ الدَّهْرِ مَا جَرَحَ اللِّسَانُ

جِرَاحَاتُ الطِّعَانِ لَهَا الْتِئَامٌ ... وَلاَ يَلْتَامُ مَا جَرَحَ اللِّسَانُ

وقال امرؤ القيس[٧٧]:

وَلَوْ عَنْ نَشا غَيْرِهِ جَاءَنِي ... وَجُرْحُ اللِّسَانِ كَجُرْحِ الْيَدِ

---

[٧٢] سورة البقرة: ١٨٧.

[٧٣] سورة البقرة: ٢٢٢.

[٧٤] سورة المجادلة: ٣.

[٧٥] سورة النور: ١٩

[٧٦] البيهقي: المحاسن والمساوئ، ص ٣٨١.

[٧٧] امرؤ القيس: ديوانه، ص٣٨١.

www.mtenback.com

وقال آخر، مهوّنًا من أثر ضربة السيف إذا ما قورنت بجرح اللسان ولسعته[٧٨]:

وَجُرْحُ السَّيْفِ يَأْسُوهُ الْمُدَاوِي وَجُرْحُ الْقَولِ طُوْلَ الدَّهْرِ دَامِي

وقد صوّر الأخطل نفاذَ القول وتأثيره أروع تصوير حين جعله أشدَّ من نفاذ الإبر بقوله[٧٩]:

حَتَّى اسْتَكَانُوا وَهُمْ مِنّي عَلَى مَضَضٍ وَالْقَوْلُ يَنْفُذُ مَالاَ تَنْفُذُ الإِبَرُ

وقال لقمان الحكيم لابنه'وهو يعظه: «يابني قد دحرجت الحجارة، وقطعت الصخور، فلم أجد أثقل من كلمة السوء ترسخ في القلب كما يرسخ الحديد في الماء»[٨٠].

سبل اجتناب الفحش:

أول هذه السبل التربية الصالحة والتنشئة على مكارم الأخلاق، وتجنيب الأطفال سماع المرذول من القول والسبّ والشتم، وقد حضّت الشريعة السمحة على اجتناب الفحش والتفحش، ونفت عن صاحب الخلق الكريم صفة الطعن واللعن والبذاءة كما مر معنا[٨١]. بل إنها نهت عن سب الأوثان والطواغيت التي تتخذ أربابًا من دون الله، أمام من يقدسونها قال تعالى: ﴿وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[٨٢]. ونهى الرسول عن أن يُسَبَّ قتلى بدر من المشركين[٨٣].

---

[٧٨] البيهقي: المحاسن والمساوئ، ص ٣٨١.

[٧٩] الأخطل، غياث بن غوث التغلبي: شعر الأخطل، صنعة السكري، تحقيق د.فخر الدين قباوة بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط م (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) مجلدان، ج١، ص٢٠٢.

[٨٠] الزمخشري: ربيع الأبرار، ج٢، ص٤٤١.

[٨١] انظر ما تقدم في فقرة حكم الفحش في الشرع والعرف، ص١٢٠.

[٨٢] سورة الأنعام: ١٠٨.

[٨٣] وذلك قوله صلى الله علية وسلم: «لاتسبوا هؤلاء فإنه لايخلص اليهم في شيء مما تقولون وتؤذون الأحياء، ألا إن البذاء لؤم» أخرجه ابن أبي الدنيا. انظر الغزالي إحياء علوم الدين، ج٣، ص١٢١.

www.mtenback.com

وثانيها صَوْنُ السمع عن سماع القبيح من القول، فإن في هذا الصون وقايةً للسان عن النطق به، يقول الشاعر(٨٤):

وَسَمْعَكَ صُنْ عَنْ سَمَاعِ القَبِيْحْ ... كَصَوْنِ اللِّسَانِ عَنِ النُّطْقِ بِهْ

فَإِنَّكَ عِنْدَ سَمَاعِ القَبِيْحْ ... شَرِيْكٌ لِقَائِلِهِ فَانْتَبِهْ

ورُوي أن عمرو بن عتبة رأى رجلاً يشتم رجلاً، وآخر يستمع له، فقال للمستمع: «نزّه سمعك عن استماع الخنا كما تنّزه لسانك عن الكلام به، فإن السامع شريك القائل، وإنما نظر إلى شرّ مافي وعائه فأفرغَهُ في وعائك، ولو ردَّت كلمة جاهل في فيه لَسعِد رادُّها، كما شقي قائلها»(٨٥).

وثالثها التنّزه عن ردّ الإساءة بمثلها، واحتمالُ الأذى ودفعه بالتي هي أحسن، وفي ذلك سموٌّ وارتقاء وإصلاح لا يحسنه إلا ذوو النفوس النبيلة. يقول جلَّ وعلا: ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ. وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾(٨٦).

يروى أن رجلاً أسمع عمر بن عبدالعزيز مايكره، فقال رضي الله عنه: لاعليك إنما أردت أن يستفزّني الشيطانُ بعزّة السلطان، فأنال منك اليوم ماتناله مني غدًا. انصرف إن شئت. وقال الشاعر في هذا المعنى(٨٧):

لَنْ يُدْرِكَ الْمَجْدَ أَقْوَامٌ وَإِنْ كَرُمُوا ... حَتَّى يَذِلُّوا وَإِنْ عَزُّوا لأَقْوَامِ

---

(٨٤) النووي، يحيى بن شرف النووي، الأذكار، تحقيق: محمد أديب الجادر، دمشق، دار البشائر، ط ١ (١٤١٥هـ/١٩٩٥م) ص٣٨١.

(٨٥) الجاحظ، البيان والتبيين، ج ٢، ص ٣٠١.

(٨٦) سورة فصلت: ٣٤-٣٥.

(٨٧) ابن عبدربه، العقد الفريد، ج ٢، ص ٢٧٩.

www.mtenback.com

وَيُشْتَمُوا فَتَرى الأَلْوانَ كَاسِفَةً لاَ ذُلَّ عَجْزٍ وَلَكِنْ ذُلَّ أَحْلاَمِ

فليس الصفح عيبًا إذ لم يكن عن ضعف أو ذلّة. وإنما هو ترفّعٌ عن الدنايا وصبرٌ على الرزايا، ولا يفعل ذلك إلا ذو عقل. حكي أن عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه قال لعامر بن مُرَّة الزهري: مَنْ أحمقُ الناسِ؟ قال: مَنْ ظنّ أنه أعقلُ النـــاس، قـــال: صدقت، فمن أعقل الناس؟ قال: من لم يتجاوزِ الصمت في عقوبةِ الجهّال[٨٨].

وأكثَر رجلٌ من سبّ الأحنف وهو لا يُجيبُهُ، فقال: والله ما منعه من جوابي إلا هواني عليه[٨٩].

وفي ذلك يقول عمرو بن علي[٩٠]:

إِذَا نَطَقَ السَّفِيهُ فَلاَ تُجِبْهُ فَخَيْرٌ مِنْ إِجَابَتِهِ السُّكُوتُ

سَكَتُّ عَنِ السَّفِيهِ فَظَنَّ أَنِّي عَيِيْتُ عَنِ الْجَوابِ وَمَا عَيِيْتُ

وقد حضّ الرسول على الترفع عن رد السبّ والشتم، حيث قـــال: «المستبّان ماقالا، فعلى البادئ ما لم يعتدِ المظلوم»[٩١]. ونعتَ النبي أبا ذر بالجاهلية عندما عـــير رجلاً بأمِّه الأعجمية ونال منه فقال: إنك امرؤ فيك جاهلية[٩٢].

---

[٨٨] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص ٢٥٤.

[٨٩] المصدر السابق نفسه.

[٩٠] المصدر السابق نفسه.

[٩١] رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، انظر: مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط ٢ (١٩٧٢م) ٥ أجزاء، ج٤، ص٢٠٠٠ (رقم ٢٥٨٧).

[٩٢] البخاري، صحيح البخاري، باب ماينهى من السباب واللعن، ج ٥، ص ٢٢٤٨، (رقم ٥٧٠٣).

www.mtenback.com

ورابعها توقّي أسباب السبّ بالتزام مكارم الأخلاق والتحلي بفضائل السلوك في التعامل مع الآخرين، وعدم إثارة مايدعو إلى السبّ والشتم كالكذب، لأن التعرض للناس وتحديهم يوقع المرء في ألسنتهم[٩٣]:

وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى ذَمِّهِ ذَمُّوهُ بِالْحَقِّ وَبِالْبَاطِلِ
مَقَالَةُ السُّوءِ إِلَى أَهْلِهَا أَسْرَعُ مِنْ مُنْحَدِرٍ سَائِلِ

ولعل من أبرز مايدعو إلى السبّ والشتم ويوقع في البغضاء والحقد والقطيعة المراء والجدل، ولا ريب أن إشاعة المحبّة بين الناس من شأنها أن تجنبهم هذا الخلق الذميم، وقد دلّ الرسول ﷺ على سبيل ذلك بقوله: «ألا أخبركمْ بشيءٍ إذا فعلتموهُ تحابَبْتُم؟ أفشُوا السلام فيما بينكم»[٩٤] وفي هذا تحل بالأخلاق التي وصف الله بها عباده المؤمنين.

الكذب:

اللسان آلة الكلام، ومن الكلام: الكذب، وهو نقيض الصدق. وهو جماع كل شرّ وأصل كل ذمٍّ، لسوء عواقبه وخبث نتائجه، لأنه ينتج النميمة، والنميمة تنتج البغضاء، والبغضاء تؤول إلى العداوة، وليس مع العداوة أمن ولا راحة، ولذلك قيل: «مَن قلَّ صِدقُهُ قلَّ صديقُهُ»[٩٥].

---

[٩٣] ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج٢، ص٢٦.

[٩٤] رواه أبو داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، انظر أبو داود، صحيح سنن أبي داود، صحح أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني، الرياض، مكتب التربية العربي لدول الخليج ط١ (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) ج٣، ص ٩٧٥(رقم ٤٣٢٥).

[٩٥] الماوردي· أدب الدنيا والدين، ص ٢٦١.

www.mtenback.com

ولأمرٍ مانجد المشتقات التي استعملت للوصف ومبالغته من هذه المادة كثيرة، فقد جاء في اللسان: «رجل كاذبٌ، وكذّاب، وتكذاب، وكَذُوب، وكَذُوبَة، وكُذَبَه وكَذْبان[٩٦].

قال الشاعر[٩٧]:

وَمَا شَيْءٌ إِذَا فَكَّرْتَ فِيهِ ... بِأَذْهَبَ لِلْمُرُوءَةِ والْجَمَالِ

مِنَ الْكَذِبِ الَّذِي لاَ خَيْرَ فِيهِ ... وَأَبْعَدَ بِالْبَهَاءِ مِنَ الرِّجَالِ

أنواعه:

للكذب أنواع كثيرة كلها قبيح مذموم: فأولها وأكثرها سوءًا الافتراء، وهو اختلاق الكذب «فرى كذبًا فَرْيًا وافتراه: اختلقه. ورجل فريّ ومِفْرى وإنه لقبيح الفِرْية»[٩٨]. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾[٩٩]. وفي الحديث الشريف: «إن من أفرى الفرى أن يُرِيَ المرء عينه ما لم تَرَ»[١٠٠]. قال سُرَاقَةُ البارقي مبينًا بطلان ما كان يصنع[١٠١]:

أُرِيْ عَيْنَيَّ مَالَمْ تَرَيَاهُ ... كِلاَنَا عَالِمٌ بِالتُّرَّهَاتِ

ومن الكذب شهادة الزور، وهي شهادة الباطل يدلي بها الشاهد كذبًا وافتراءً، وقد حذّر منها الرسول ﷺ، وعدّها من أكبر الكبائر، حيث قال: «ألا أنبئكم بأكبر

---

[٩٦] ابن منظور، اللسان (كذب).

[٩٧] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص ٢٦١.

[٩٨] ابن منظور، اللسان (فري).

[٩٩] سورة النحل: ١٠٥.

[١٠٠] البخاري، صحيح البخاري، ج٦، ص٢٥٨٢. (رقم الحديث ٦٦٣٦).

[١٠١] الأنصاري، أبو زيد سعيد بن أوس، النوادر في اللغة، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٢ (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م) ص ١٨٥.

www.mtenback.com

الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين»، ثم قعد وقال: «ألا وقول الزور»[١٠٢]. بل قرنها بالإشراك بالله حيث قال: «عَدَلَت شهادةُ الزور الشرك بالله»[١٠٣]. وإنما عادلته لقوله تعالى في وصف عباده المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾[١٠٤]، ثم قال بعدها: ﴿وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾[١٠٥].

ورابعها الظنّ، وهو أكذب الحديث، كما جاء في قول الصادق المصدوق ﷺ: «إياكم والظنّ فإنّ الظنّ أكذب الحديث»[١٠٦].

والظن نتيجة من نتائج سوء الفعل قال المتنبي[١٠٧]:

إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ ... وَصَدَّقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُّمِ

وهو يؤدي إلى ظلم كبير، قال عبدالرحمن بن حسان[١٠٨]:

فَلاَ وَيَمِيْنُ اللهِ لاَ عَنْ جِنَايَةٍ ... هُجِرْتُ وَلَكِنَّ الظَّنِيْنَ ظَنِيْنُ

ولذلك نهى الله عن الظن مبيناً أن بعضه إثم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾[١٠٩].

---

[١٠٢] البخاري، صحيح البخاري، ج١، ص٥٣ (رقم ٢٥١١).

[١٠٣] ابن منظور، اللسان (زور).

[١٠٤] سورة الفرقان: ٦٨.

[١٠٥] سورة الفرقان: ٧٢.

[١٠٦] البخاري، صحيح البخاري، ج٥، ص١٩٧٦، (رقم ٤٨٤٩).

[١٠٧] المتنبي: أبو الطيب أحمد بن الحسين، ديوانه بشرح أبي البقاء العكبري، تحقيق: مصطفى السقا وزميليه، القاهرة، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الأخيرة (١٣٩١هـ/١٩٧١م) ج٤، ص١٣٥.

[١٠٨] ابن منظور، اللسان (ظن).

[١٠٩] سورة الحجرات: ١٢.

www.mtenback.com

ومن الكذب إخلاف الوعد فهو ضرب من ضروب الكذب، لأن المخلف وعده إنما يكذب في أمر مستقبل، قال الماوردي: «والصدق والكذب يدخلان الأخبار الماضية، كما أن الوفاءَ والخلف يدخلان المواعيد المستقبلة»[١١٠]. وقد قرن أبو تمام بين إخلاف الوعد والكذب بقوله في عياش بن لهيعة[١١١]:

يَا أَكْثَرَ النّاسِ وَعْدًا حَشْوُهُ خُلُفٌ وَأَكْثَرَ النَّاسِ قَوْلاً حَشْوُهُ كَذِبُ

والعرب تضرب المثل بعرقوب في إخلاف الوعد. يقول كعب بن زهير[١١٢]:

كَانَتْ مَوَاعِيْدُ عُرْقُوبٍ لَهَا مَثَلاً وَمَا مَوَاعِيْدُهَا إلاَّ الأَبَاطِيْلُ

وعرقوب هذا من أكذب أهل زمانه قيل إنه أتاه أخ له يسأله شيئًا فقال له عرقوب: إذا أطلَعَت هذه النخلة، فلك طَلْعها، فلما أطْلَعت أتاه للعِدَة فقال له:دعها حتى تصير بَلَحًا ، فلما أبلَحَتْ قال: دعها حتى تصير زَهْوًا، فلما أبسَرَتْ قال:دعها حتى تصير رُطَبًا، فلما أرطبت قال: دعها حتى تصير تمرًا، فلما أثمرت عَمَدَ إليها عُرقوب من الليل، فجَدَّها، و لم يعط أخاه منه شيئًا، فصارت مثلاً في إخلاف الوعد، وفيه يقول الأشْجَعي[١١٣]:

وَعَدْتَ وَكَانَ الخُلْفُ مِنْكَ سَجِيَّةً مَوَاعِيدَ عُرْقُوبٍ أخَاهُ بِيَثْرِبِ

ومما يدخل في هذا الباب كثرة الاعتذار، أو ما سمي بالمَعاذِر،جمع مَعْذِرَة، فقد جاء في المثل العربي: «المَعاذِرُ مَكاذِب»[١١٤]، و«المعاذير قد يشوبُها الكذب»[١١٥]

---

[١١٠] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص ٢٦٢.

[١١١] أبو تمام، ديوانه، ج٢، ص ٢٠٥.

[١١٢] السكّري، الحسن بن الحسين، شرح: ديوان كعب بن زهير، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط١ (١٣٦٩هـ/١٩٥٠م) ص٨.

[١١٣] ابن منظور، لسان العرب، (عرقب)

[١١٤] الميداني، مجمع الأمثال، ٢٩٦/٢.

[١١٥] المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

لأن المعتذر يحتالُ في اختراع الحجة التي يعتذر بها من إخلاف موعـــد، أو تقصـــير في حقٍّ، أو ما شابه ذلك. ولهذا قيل: «أمران لا ينفكّان من كذب، كثرة المواعيد وشـــدة الاعتذار»[١١٦]. وقد وصف الله سبحانه أولئك الأعراب الذين تعلَّلوا بالأعذار من غير وجه حقٍّ بقوله: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١١٧]. فقرن بينهم وبين الكاذبين الذين كذبوا الله ورسوله.

وحكى الجاحظ في البيان والتبيين أنه: «كان يقال: «دعوا المَعاذِر فإن أكثرهـــا مفاجِر». وقال إبراهيم النخعي لعبد الله بن عون: «تجنب الاعتذار فإن الاعتذار يخالطه الكذب».

ومن بديع ما أنشد ابن عبد ربه في ذمِّ إخلاف الموعد والكذب[١١٨]:

صَحِيْفَةٌ أُفْنِيَتْ لَيْتٌ بِهَـــا وَعَسَـــى ... عُنْوَانُهَا رَاحَـــةُ الرَّاجِـــي إِذَا يَئِســـا

وَعْدٌ لَهُ هَاجِسٌ فِي الْقَلْبِ قَدْ بَرِمَـــتْ ... أَحْشَاءُ صَدْرِي بِهِ مِنْ طُولِ مَا انْحبَسَا

مَوَاعِدٌ غَـــرَّنِي مِنْهَا وَمِيْـــضُ سَـــنا ... حَتَّى مَدَدْتُ إِلَيْهَا الْكَـــفَّ مُقْتَبِســـا

فَصَادَفَتْ حَجَرًا لَوْ كُـــنْتَ تَضْرِبُـــهُ ... مِنْ لُؤْمِهِ بِعَصَا مُوسَى لَمَـــا انْبَجَسَـــا

كَأَنَّمَا صِيْغَ مِنْ بُخْلٍ وَمِـــنْ كَـــذِبٍ ... فَكَانَ ذَاكَ لَـــهُ رُوحًـــا وذا نَفَسَـــا

---

[١١٦] البيهقي: المحاسن والمساوئ، ص ٣٩٣.

[١١٧] سورة التوبة: ٩٠.

[١١٨] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص ٣٦٩.

www.mtenback.com

آثار الكذب وجزاؤه:

للكذب آثار سيئة تبدأ بصاحبه وتنتهي بمن حوله لتعمّ المجتمع كلـــه. ولذلـك تضافرت الآثار والأخبار والحكم والأمثال على النهي عنـه، والتنبيـه علـى شـرّه، والتحذير من انتشاره ، وتصوير عاقبته ومآله. يقول الشاعر[١١٩]:

لاَيَكْذِبُ الْمَـــرْءُ إلاّ مِـنْ مَهَانَتِـهِ أَو فِعْلَةِ السُّوءِ أَوْ مِـنْ قِلَّـةِ الأَدَبِ
لَبَعْضُ جِيْفَةِ كَلْـــبٍ خَـيْرُ رَائِحَـةٍ مِنْ كِذْبَةِ الْمَرْءِ فِي جِدٍّ وَفِـي لَعِـبِ

ولعل أول تلك الآثار السيئة على الكـذوب، أنه لا يُصَدَّق في أمرٍ وإن صدَق. ولا أدلَّ على ذلك من قصة الراعي الذي استنجد بأهل القرية غير مرة زاعمًا أن الذئب عدا على غنمه، وهو يكذب في ذلك وأهل القرية يصدّقونه فيخفّون لنجدته، فلما عدا الذئب حقيقة على غنمه لم يُجْدِ صراخه واستغاثته، لأن أحدًا من أهل القرية لم يصدِّقْ مقالته، وجنى عليه كذبه. فمن جرَّب الناس عليه الكذب لم يصدّقوه أبدًا، وقد جاء في أمثالهم: «من عُرِفَ بالكذب لم يَجُزْ صِدْقُه، ومن عُرِفَ بالصدق جـازَ كَذِبُه»[١٢٠]، بل إنهم يلحقون به كل كذبة يسمعونها، وينسبون إليه كلَّ فِرْيَةٍ قد يكون اختلقهـا غيرُه، وفي ذلك يقول الشاعر[١٢١]:

حَسْـبُ الْكَـذُوبِ مِـنَ الْبَلِيْـ ـَـيَـةِ بَعْـضُ مَـا يُحْكَـى عَلَيْـهِ
فَمَتَـى سَـمِعْتَ بِكِذْبَـةٍ مِـنْ غَـيْرِهِ نُسِـبَتْ إِلَيْـهِ

---

[١١٩] الأبشيهي، محمد بن أحمد: المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق: إبراهيم صـالح، دار صـادر، بيروت، ط١، (١٩٩٩)، ج٢،ص ١٥١.

[١٢٠] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٣، ص ٧٩.

[١٢١] الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج٢،ص١٥٠.

www.mtenback.com

والسبب في هذا أن عادة الكذب عادة ذميمة، متى اعتادها صاحبها استبدَّت به واستحكمت حتى ما يستطيع منها فكاكًا، فلا ينفع معه علاج، ولا يشفيه منهـا دواء. وفي هذا يقول أبو العباس المبرّد[١٢٢]:

إِنَّ النَّمُـومَ أُغَطِّـي دُونَـهُ خَـبَرِي ... وَلَيْسَ لِي حِيْلَةٌ فِي مُفْـتَرِي الكَـذِبِ

ويروى لبعض الشعراء قوله[١٢٣]:

لِـي حِيْلَـةٌ فِيمَـن يَنُمْـ ... ـمُ وَلَيْسَ فِـي الكَـذَّابِ حِيلَـهْ

مِـنْ كَـانَ يكـذب مَـا يُرِيْـ ... ـدُ فَحِيلَتِـي فِيْـهِ قَلِيلَـهْ

وهي تقضي على كل الفضائل التي قد يتحلّى بها صاحبها، على العكس مـن سجيّة الصدق التي تذهب كثيراً من الرذائل التي قد تعلق بصاحبها. ولذلك قيل: «علة الكذوب أقبح علة، وزلّة المتوخّى أشدُّ زلّة»[١٢٤]. وقال الشاعر[١٢٥]:

أَنْـتَ الْفَتَـى كُـلُّ الْفَتَـى ... إِنْ كُنْـتَ تَصْـدُقُ مَـا تَقُـولْ

لا خَـيْرَ فِـي كَـذِبِ الْجَـوَا ... دِ وَحَبَّـذَا صِـدْقُ الْبَخِيْـلْ

والكذب يورث صاحبه الرذائل، وينفي عنه الفضائل، فمن اعتاد الكذب هانت عليه كل رذيلة، لأنه بكذبه وتضليله سيقلبها إلى فضيلة، ويتبجّح بتحلّيه بها ليُعرف عنه ما ليسَ فيه، وليُحمدَ بما لم يصنعْ.

من أجل هذا كله كانت عقوبة الكذاب شديدة، وجزاؤه أليمًا. وأولى مراتب ذلك أنه ممقوت مكروه من كل من حوله، وقد نصَّ القرآن الكريم على لعنه: ﴿ثُمَّ

---

[١٢٢] المبرد،أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: د. محمد الدالي، دار الرسالة بيروت، ج٢، ص ٨٨٢.

[١٢٣] المصدر السابق نفسه.

[١٢٤] ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج٣، ص٢٦.

[١٢٥] ابن أبي الدنيا: الصمت وآداب اللسان، ص ٢٩٦.

www.mtenback.com

نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[١٢٦]. وهو خارج عن حضرة الإيمان: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾[١٢٧]. بل هو منافق أو فيه خصلة من النفاق كما جاء في الحديث الشريف: «آية المنافق ثلاث: إذا حدَّثَ كذبَ وإذا وعدَ أخلفَ وإذا اؤتُمِنَ خان»[١٢٨]. وقد أكدَّ الرسول هذا المعنى حينما سئل: أيكون المؤمن جبانًا؟ قال: نعم، قيل: أفيكون بخيلاً؟ قال: نعم، قيل: أفيكون كذابًا؟ قال: لا[١٢٩].

وقال بعض البلغاء: «الصادق مصون جليل، والكاذب مهان ذليل»[١٣٠] وقيل في منثور الحكم: «الكذّاب لص، لأن اللص يسرق مالك، والكذاب يسرق عقلك»[١٣١].

ورسم الرسول الكريم طريق الصدق وعاقبته وطريق الكذب وعاقبته بقوله: «إن الصدق يهدي إلى البرِّ، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صدّيقًا. وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذّابا»[١٣٢].

والعرب تنبذ الكذب، وتتحاشى صاحبه وتُعرِّيه من كل فضيلة أو مروءة أو مكرمة. وقد جاء في أمثالهم: «ليس لكذوب رأي»[١٣٣]. وقال الأحنف: «لا مروءة

---

[١٢٦] سورة آل عمران: ٦١.

[١٢٧] سورة النحل: ١٠٥.

[١٢٨] البخاري، صحيح البخاري، ج٢، ص٢١ ، رقم (٣٣).

[١٢٩] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج٣،ص١٣٥.

[١٣٠] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص ٢٦١.

[١٣١] المصدر السابق نفسه.

[١٣٢] رواه البخاري، صحيح البخاري، ج٥،ص٦٩ (رقم ٥٧٤٣).

[١٣٣] ابن منظور، اللسان (كذب).

www.mtenback.com

لكذوب، ولا سؤدد لبخيل، ولا وَرَعَ لسيّئ الخُلُق»[١٣٤]. وقال العتبي عن أبيه: «لا تتمّ مروءة الرجل إلا بخمس: أن يكون عالمًا، صادقًا، عاقلاً،ذا بيان، مستغنيًا عن الناس»[١٣٥].

وكان يقال: «الأذلاء أربعة: النمام، والكذاب والمدين والفقير»[١٣٦]. وقال قتيبة ابن مسلم لبنيه: «لا تطلبوا الحوائج من كذوب، فإنه يقرّبها وإن كانت بعيدة، ويبعدها وإن كانت قريبة»[١٣٧].

وكفى بالكاذب عقوبةً في دنياه أن يُنبذ ويعزل، وحسبه جزاءً في أخراه أن يعذّب ويبتذل.

ويحكى أن أعرابيًا سمع ولده يكذب فقال له: «يا بني عجبت من الكذّاب المشيد بكذبه، وإنما يدلُّ على عيبه، ويتعرض للعقاب من ربه. فالآثام له عادة، والأخبار عنه متضادّة. إن قال حقًّا لم يُصدَّقْ، وإن أراد خيرًا لم يوفّقْ، فهو الجاني على نفسه بفعاله، والدّال على فضيحته بمقاله: فما صح من صدقه نُسب إلى غيره، وما ورد من كذب غيره نُسب إليه»[١٣٨].

ومن أسوأ ما يمكن أن يؤول إليه حال المجتمع أن يروج فيه الكذب، وتستمرئه النفوس، وتتقبله الطبائع. وشرٌّ من ذلك أن يُعجّب الناس بمن يخدعهم ويكذب عليهم ويزيّن لهم.. يروى عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال: «دخلت على سليمان بن علي

---

[١٣٤] ابن عبد ربه: العقد الفريد،ج٢،ص ٢٩٣.

[١٣٥] المصدر السابق نفسه.

[١٣٦] ابن قتيبة،عيون الأخبار، ج٢، ص٢٦.

[١٣٧] البيهقي: المحاسن والمساوئ، ص٣٩٣.

[١٣٨] الحمصي، هشام عبدالرزاق، عيون الأشعار وروائع الأفكار، دار الكلم الطيب دمشق -بيروت،ط٢ (١٤١٨هـ/١٩٩٨م) ص٦٤.

www.mtenback.com

فسألني عن شيء فصدقتُه فلم يعجبه، فخرجت متعجبًا من كساد الصدق عندهم ونَفاق الكذب عليهم». وكان أبو عمرو ينشد بعقب هذا الحديث[١٣٩]:

أَنِفْتُ مِنَ الذُّلِّ عِنْدَ المُلُوكِ ... وَإِنْ كَرَّمُونِي وَإِنْ قَرَّبُوا

إِذَا مَا صَدَقْتُهُمُ خِفْتُهُمْ ... وَيَرْضَوْنَ مِنِّي بِأَنْ يُكْذَبُوا

سبل اجتناب الكذب:

حَرِيٌّ بالمرء أن يحفظ لسانه من أن يصطنع الكذب لأنه لا يليق به بغض النظر عمّا ينطوي عليه من مفاسد، وقد جاء في الأمثال العربية: «لو لم يترك العاقلُ الكذب إلا للمُروءة لكان حقيقًا بذلك، فكيف وفيه المأثم والعار؟!»[١٤٠].

والكاذب يكذب حين يكذب خوفًا من مكروه أو طمعًا في مرغوب، كلا السببين أمران يزينهما له عقله القاصر وإدراكه المنحرف، ولو أنه علم يقينًا أنه لن يصيبه إلا ما كتبه الله له: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾[١٤١]، وأن ما قدّر له سيصل إليه، وما قُدِّرَ لغيره لن يناله بقوته كما نصت على ذلك الأحاديث الشريفة وما أكثرها في هذا الباب، لو أنه أيقن بكل ذلك لاستراح وأراح.

ولا ريب أنَّ ملاك الأمر كله إنما هو الإيمان، فمتى استقر الإيمان في النفس واكتمل لم يحرّكْها طمعٌ ولا فزع، لأنها تعلم أن كل ما يحيط بها ويكتنفها بقضاء من الله وقدر. وقد جعل الله سبحانه الصدق قرينًا للإيمان والتقوى حيث قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[١٤٢]. وورد في الحديث: «تحرّوا الصدق، وإن

---

[١٣٩] الزجاجي، عبدالرحمن بن إسحاق، مجالس العلماء، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض، ط٢ (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ص ١٧٩.

[١٤٠] الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص٢١٠.

[١٤١] سورة التوبة: ٥١

[١٤٢] سورة التوبة: ١١٩.

www.mtenback.com

رأيتم فيه الهلكة، فإن فيه النجاة،وتجنّبوا الكذبَ وإن رأيتم أن فيه النجاة فإن فيه الهلكة»[١٤٣].

وقال محمود الوراق[١٤٤]:

الصِّدْقُ مَنْجَاةٌ لأَرْبابِهِ وَقُرْبَةٌ تُدْنِي مِنَ الرَّبِّ

وقال بعض البلغاء: «ليكن مرجعك إلى الحقّ، ومنزعُك إلى الصدق، فالحق أقوى معين، والصدق أفضل قرين»[١٤٥].

والصدق من مكارم الأخلاق التي ينبغي أن تزرع في سلوك الطفل منذ نعومة أظفاره، فينشأ عليه، ولا يرى بديلاً عنه، ولن يتم ذلك إلا إذا رأى أقرب الناس إليه من أم وأب وإخوة يصدقون في كل أحوالهم، حتى يصبح الصدق سجية له وعادة لا ينفك عنها، ونعمت العادة الصدق، قال الشاعر[١٤٦]:

عَوِّدْ لِسَانَكَ قَوْلَ الصِّدْقِ تَحْظَ بِهِ إِنَّ اللِّسَانَ لِمَا عَوَّدْتَ مُعْتَادُ

مَوَكَّلٌ بِتَقَاضِي مَا سَنَنْتَ لَهُ فِي الخَيْرِ وَالشَّرِّ فَانْظُرْ كَيْفَ تَرْتَادُ

واللسان الصدوق هو خير الألسنة كما يقول أبو العتاهية[١٤٧]:

وَلِلنَّاسِ خَوْضٌ فِي الْكَلَامِ وَأَلْسُنٌ وَأَقْرَبُهَا مِنْ كُلِّ خَيْرٍ صَدُوقُهَا

---

[١٤٣] المنذري، عبدالعظيم بن عبد القوي، الترغيب والترهيب، تحقيق: محيي الدين مستو وزملائه دمشق، بيروت، دار ابن كثير، ط٢ (١٤١٧هـ/١٩٩٦م)،٤ أجزاء،ج٣، ص٥٥٧ (رقم ٤٣١٨).

[١٤٤] الورّاق، محمود، ديوانه، تحقيق: د.وليد قصّاب، عجمان، مؤسسة الفنون، ط١ (١٤١٢هـ/١٩٩١م) ص ٧٧.

[١٤٥] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص ٢٦٣.

[١٤٦] المصدر السابق نفسه.

[١٤٧] أبو العتاهية، ديوانه، ص٢٥٥.

www.mtenback.com

وقديمًا قال أرسطاطاليس: «أحسن الكلام ما صدق فيه قائله وانتفع به سامعه»[١٤٨].

وقال المهلب بن أبي صفرة: «ما السيف الصارم بيد الشجاع بأعزّ له من الصدق»[١٤٩].

فإذا علم المرء هذه المزايا للصدق كان حريًا به أنْ يتحلّى به ويلزمه، ففيه النجاة، وبه تتحقق له المُروءة، بل تكتمل له الفضائل؛ لأن صاحبه سيترفع عن كل رذيلة، وينأى عن كل خلق ذميم. ولا غرو فقد زهت به الأشراف منذ القِدَم وفاخرت به الشعراء الأمم، وما أحسن قول إبراهيم به هرمة في هذا[١٥٠]:

قَوْمٌ لَهُمْ شَرَفُ الدُّنْيَا وَسُؤْدُدُها ... صَفَوْا عَلَى النَّاسِ لَمْ يُخْلَطْ بِهِمْ رَنَقُ

إِنْ حارَبُوا وَضَعُوا أَوْ سالَمُوا رَفَعُوا ... أَوْ عاقَدُوا ضَمِنُوا أَوْ حَدَّثُوا صَدَقُوا

الغيبة:

هي من رذائل اللسان التي يجب أن يُحفظَ منها، وما أسرع ما تنقاد لفعلها أهواء النفوس التي تحسب زلل الآخرين كمالاً لها، وتتخذ من أخطائهم ادعاءً كاذبًا بالرضا عن النفس وشعورًا بالرفعة والتفوق. والغيبة في العرف اللغوي هي الكلام في غيبة إنسان مستور بسوء أو بما يغمُّه لو سمعه وإن كان فيه، فإن كان صدقًا فهو غِيبة، وإن كان كذبًا فهو البَهْتُ والبُهْتان[١٥١]. وقد حدّها الرسول ﷺ بأنها: «ذكرك أخاك بما يكره»[١٥٢].

---

[١٤٨] الأبشيهي، المستطرف في كل فنٍّ مستظرف، ج٢، ص ١٤٦.

[١٤٩] المصدر السابق نفسه.

[١٥٠] ابن هرمة، إبراهيم، ديوانه، تحقيق محمد جبار المعيبد، مطبعة الآداب في النجف الأشرف بالعراق (١٣٨٩هـ/١٩٦٩م) ص٢٧٠.

[١٥١] ابن منظور، اللسان (غيب).

[١٥٢] رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، انظر مسلم، صحيح مسلم،ج٤،ص٢٠٠١ (رقم ٢٥٨٩).

www.mtenback.com

ونهى عنها ربُّ العزة سبحانه بقوله: ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾[١٥٣]. فشبه صاحبها بآكل لحم الميتة وكفى بذلك شناعةً وفظاعة. وجاءت الأحاديث الشريفة مشددة في النهي عنها، والتنفير منها، والوعيد الشديد لمرتكبيها.

دوافعها وأسبابها:

للغيبة دوافع كثيرة أبرزها: الكراهية والبغضاء: فكثيرًا ما يضمر المغتاب الكره لصاحبه، فينفُثُ ما في صدره باغتيابه ليشفي غيظه بذلك، دون أن يكشف عما ينطوي عليه قلبه نحوه، خوفًا على مصلحة أو طمعًا في مكسب، ظنًا منه أن ذلك لن يبلغه. فهو يبدي المحبة في وجهه، ويضمر الغلَّ والحقد في غيبته. كالذي قاله هشام بن عبدالملك في أبي وهب[١٥٤]:

أَبْلِغْ أَبَا وَهَبٍ إِذا ما لَقِيتَهُ ... بِأَنَّكَ شَرُّ النَّاسِ عَيْنًا لصاحِبِ

فَتُبْدِي لَهُ بِشْرًا إِذا ما لَقِيتَهُ ... وَتَلْسَعُهُ بِالغَيْبِ لَسْعَ العقارِبِ

ومنها: الحسد لصاحب نِعَمٍ ومكارم يثني الناس عليه لأجلها، فيريد المغتاب زوال تلك النعم والمكارم، ولا يجد سبيلاً إلى ذلك إلا بالانتقاص منه أمام الناس عجزًا عن مجاراته أو اللحاق بمكارمه، وحبًّا برفع نفسه بتنقيص غيره. وفي ذلك يقول الإمام علي كرم الله وجهه: «الغيبة جهد العاجز»[١٥٥]. وقد أخذ منه هذا المعنى المتنبي في بيته المشهور[١٥٦]:

---

[١٥٣] سورة الحجرات: ١٢.

[١٥٤] الزمخشري، ربيع الأبرار، ج٢، ص٤٢٤.

[١٥٥] المرجع السابق، ج٢، ص ٤٥١.

[١٥٦] المتنبي: ديوانه، ج١، ص ٣٧٦.

www.mtenback.com

وَأُكْبِرُ نَفْسِي عَنْ جَـــزاءٍ بِـــغِيْـــبَةٍ وَكُلُّ اغْتِيَابٍ جُهْدُ مَنْ ما لَـــهُ جُهْـــدُ

ومنها: الهزل واللعب ومجاراة الأصحاب والأقران فيهما، وهذا أمر يقع فيه كثير من الناس تزجيةً للوقت وابتغاءً للتسلية والضحك بعرض صور لأناس يعرفونهم يتتبعون فيها عثراتهم وسقطاتهم، وقد ينالون من أعراضهم. ويبالغون في عرضها عرضًا ساخرًا يثير الضحك، وقلما تجد من ينكر عليهم ذلك من أفراد المجلس، مجاملةً لهم، وإبقاءً على مودتهم وحسن معشرهم. وقد يستمرئ أحدهم ذلك فلا يطيب له مجلس يخلو مـــن الغيبة، وهو إن لم يشارك بلسانه راق له أن يشارك بسمعه. حكى ابن قتيبة أن «عتبـــة ابن عبدالرحمن كان يغتاب الناس ولا يصبر، ثم ترك ذلك، فقيل له: أتركتها ؟ قـــال: نعم، عدا أني والله أحب أن أسمعها!»[١٥٧].

ومنها: الرذائل والرغبة في صرف نظر الناس عمّا يُعرف له من عيوب ورذائل، وذلك بنسبة هذه العيوب إلى من يحترمه الناس ويجلونه، فإذا علموا هذا خفَّ إنكـــارهم عليه بظنّه، ولم يدر أن اغتياب المرء غيره يدل على عيبه وفي ذلك قيل: من وجدتمـــوه عيّابًا وجدتموه معيبًا، لأنه يعيب الناس بفضل عيبه[١٥٨]. وقال الشاعر[١٥٩]:

وَيَأْخُذُ عَيْبَ المَرْءِ مِنْ عَيْبِ نَفْسِـــهِ مُـــرَادٌ لَعَمْـــرِي مـــا أَرَادَ قَرِيْـــبُ

وقال أبو العيناء: «ماقطعني أحد كما قطعني المهدي، فإنه قال: بلغني أنك تغتاب الناس! فقلت: يبطل فيَّ شغلي بعيبي، فقال: والله ذاك أشدُّ لغيظك على أهل العافيـــة. أعرف الناس بعوار الناس المعور»[١٦٠]. وفي ذلك يقول الشاعر[١٦١]:

---

[١٥٧] ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج٢، ص١٥.

[١٥٨] الراغب الأصبهاني، محاضرات الأدباء، ج٢، ص٣٩٨.

[١٥٩] المصدر السابق نفسه.

[١٦٠] المصدر السابق نفسه.

[١٦١] ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج٢، ص١٤.

www.mtenback.com

وَأَجْرَأُ مَنْ رَأَيْتُ بِظَهْرِ غَيْبٍ عَلَى عَيْبِ الرِّجَالِ ذَوُو العُيُوبِ

وأنشد ابن الأعرابي مذكرًا العيّاب بأن الناس كلهم أصحاب عيوب وذوو نقص، وهو واحد منهم[١٦٢]:

رُبَّ غَرِيبٍ نَاصِحِ الجَيْبِ وَابْنِ أَبٍ مُتَّهَمِ الغَيْبِ

وَكُلُّ عيّابٍ لَهُ مَنْظَرٌ مُشْتَمِلُ الثَّوْبِ عَلَى العَيْبِ

وحكى الزمخشري في هذا قول الشاعر[١٦٣]:

وَمَطْرُوفَةٍ عَيْناهُ عن عَيْبِ نَفْسِهِ فَإِنْ بانَ عَيْبٌ مِن أَخِيهِ تَبَصَّرا

هذه أهم أسباب الغيبة، على أن من ورائها أسبابًا أُخرى أقل أهمية بسط الكلام عليها الإمام الغزالي في كتابه الإحياء[١٦٤].

آثارها وجزاؤها:

الغيبة تورث التنازع والكراهية والحقد، وتقطع أواصر الأخوة والصداقة، وتمحو المحبة والأُلفة، وتنذر بتفكك المجتمع، واستباحة حرماته، والخوض في أعراضه. وهي خيانة للأمانة التي حملها الإنسان. ولذلك قالوا: «الورع في المنطق أشدُّ من الذهب والفضة، لأنك إن استودعك أخوك مالاً لم تحدِّثْكَ نفسك بخيانته، وأنت تغتابه ولا تبالي»[١٦٥]. وسمع علي بن الحسن رجلاً يغتاب فقال: ويحك، إياك فإنها إدام كلاب الناس، من كفَّ عن أعراض الناس أقال الله عثرته يوم القيامة[١٦٦].

---

[١٦٢] ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج٢، ص١٥.

[١٦٣] الزمخشري، ربيع الأبرار، ج٢، ص ٤٣٥.

[١٦٤] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج٢، ص ١٤٦-١٤٨.

[١٦٥] الزمخشري، ربيع الأبرار، ج٢، ص٤٣٦.

[١٦٦] المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

من أجل هذا كله كانت الغيبة من الكبائر في الإسلام، ونزل بشأن مرتكبها أشدُّ الوعيد. من ذلك ما رواه البراء حيث قال: «خطبنا رسول الله ﷺ حتى أسمع العواتق في بيوتهنّ فقال: «يا معشر من آمن بلسانه و لم يؤمن قلبه لا تغتابوا المسلمين ولاتتبعوا عوراتهم، فإن من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته»[١٦٧].

ولعل من أعظم ما يصور خطر الغيبة وسوء أثرها ما قاله النبي ﷺ لعائشة حين قالت له: «حسبك من صفية كذا وكذا»، فقال: «لقد قلت كلمةً لو مُزِجَتْ بماءِ البحرِ لمزجتْهُ» أي خلطته محالكة يتغير بها طعمه وريحه لكثرة نَتَنِها[١٦٨]

ويحكى أن رجلاً اغتاب رجلاً عند قتيبة بن مسلم فقال له قتيبة: أَمسِكْ عليكَ أيّها الرجل، فوالله لقد تَلَمَّظْتَ بمُضغةٍ طالما لفظها الكرامُ[١٦٩]. ولما رجم رسول الله ﷺ ماعزًا في الزنى قال رجل لصاحبه: هذا أقعص كما أقعص الكلب، فمر الرسول ﷺ بجيفة فقال: «انهش منها» فقالا يارسول الله ننهش جيفة؟ فقال: «ما أصبتما من أخيكما أنتن من هذه»[١٧٠].

سبل اجتنابها:

خير السبل إلى اجتناب الغيبة والقضاء على مسبباتها والدوافع التي تؤدي إليها هي التقوى، وأنجع سبل الوقاية منها إنما هي تقوى الله، فمن اتقى الله التزم أوامره وانتهى عن نواهيه،وإلا تعرض لسخطه وغضبه، وباء بِخِزْيه وعذابه، وإذا علم المرء أن

---

[١٦٧] رواه أبو داود من حديث أبي برزه الأسلمي رضي الله تعالى عنه، انظر، أبو داود صحيح سنن أبي داود، ج٣، ص ٩٢٣ (رقم ٤٠٨٤).

[١٦٨] رواه ابو داود من حديث عائشة، انظر: المصدر السابق نفسه، رقم (٤٠٨٠).

[١٦٩] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص٣٣٥.

[١٧٠] رواه أبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، انظر الغزالي: إحياء علوم الدين، ج٣، ص١٤٢-١٤٣.

www.mtenback.com

الغيبة محبطةٌ لحسناته يوم القيامة، إذ تصير هذه الحسنات إلى من اغتابه لِما استباح من عرضه، فإن لم تكن له حسنات طُرِح عليه من سيئات خصمه. إذا علم العاقل هذا ارعوت نفسه عن أنه يأتي بأيّ غيبةٍ، وأقلع في الحال عنها وعاهد نفسه، ألا يعود إليها.

رُوي أن رجلاً قال للحسين: بلغني أنك تغتابني، فقال: مابلغ من قدرك عندي أن أحكِّمك في حسناتي[١٧١].

وقيل لعمرو بن عبيد: لقد وقع فيك اليوم أبو أيوب السِّخْتياني حتى رحمناكَ. قال: إياهُ فارحَمُوا[١٧٢].

يبتعد المرء عن الغيبة بالمحبة والمودة والترفع عن الغلّ والحقد والغضب والحسد، فإن مِنْ شأن المحبة أن تذهب غيظ الإنسان، وتدفع عن نفسه الكراهية، وتشجع روح التفاهم والودّ بين الناس. ولا يقع في الغلّ والحقد والحسد إلا صغار النفوس، أما كبارهم فإنهم أرفع من ذلك. قال فارس الجاهلية عنترة[١٧٣]:

لايَحْمِلُ الحِقْدَ مَنْ تَعْلُو بِهِ الرُّتَبُ ... وَلا يَنالُ العُلا مَنْ طَبْعُهُ الغَضَبُ

ومن ثم كان المجتمع المثالي هو الذي يقوم على عواطف الحب الصافي، والود الشائع، والتعاون المتبادل، والمجاملة الرقيقة، لا مكان فيه لحقد ولا لغلٍّ. وأفراده كما وصفهم القرآن الكريم: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[١٧٤]. ومنها

---

[١٧١] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج٣، ص١٤٨.

[١٧٢] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص٣٣٦.

[١٧٣] عنترة بن شداد العبسي: ديوان عنترة، بيروت، دار صادر، ط٢ (١٤١٢ هـ/١٩٩٢م) ص٩٢.

[١٧٤] سورة الحشر: ١٠.

www.mtenback.com

إصلاح النفس والتفكر بعيوبها قبل التفكر بعيوب الآخرين، فما من إنسان يخلو من عيب، ولله درُّ الإمام الشافعي إذ يقول[١٧٥]:

إذا رُمْتَ أَنْ تَحْيا سَلِيمًا مِنَ الأَذى ... وَدِينُكَ مَوْفُورٌ وَعِرْضُكَ صَيِّنُ

فَلا يَنْطِقَنْ مِنْكَ اللِّسانُ بِسَوْءَةٍ ... فَكُلُّكَ سَوْءاتٌ وَلِلنّاسِ أَعْيُنُ

وَعاشِرْ بِمَعْرُوفٍ وَسامِحْ مَنِ اعْتَدى ... وَدافِعْ وَلَكِنْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

والإنسان محاسب على ذنوبه لا على ذنوب الآخرين، لذا كان شغله بنفسه أولى من شغله بالآخرين، كما يقول الشاعر[١٧٦]:

لَكَ الخَيْرُ لُمْ نَفْسًا عَلَيْكَ ذُنُوبُهَا ... وَدَعْ لَوْمَ نَفْسٍ مَا عَلَيْكَ تُلِيمُ

وَكَيْفَ تَرى فِي عَيْنِ صاحِبِكَ القَذى ... وَيَخْفَى قَذى عَيْنَيْكَ وَهْوَ عَظِيمُ

وكلُّ من عرضت له الغيبة إن تفكّر بعيوب نفسه استحيا أن يعيب وهو معيب كما قال بعضهم[١٧٧]:

فَإِنْ عِبْتَ قَوْمًا بِالَّذِي فِيكَ مِثْلُهُ ... فَكَيْفَ يَعِيبُ النَّاسَ مَنْ هُوَ أَعْوَرُ

وَإِنْ عِبْتَ قَوْمًا بِالَّذِي لَيْسَ فِيهِمُ ... فَذَلِكَ عِنْدَ اللهِ وَالنَّاسِ أَكْبَرُ

وليعلم المغتاب أن مارآه من عيوب الناس يراه الناس فيه،وبقدر مايهتك من مساوئ الناس سيهتكون من مساوئه. بل قد يرمونه بما لبس فيه، وقديمًا قيل: من رمى الناس بما فيهم رَموه بما ليس فيه، وقيل: بحثك عن عيوب الناس يدعو إلى بحثهم عن

---

[١٧٥] الشافعي، ديوانه، ص١٠١.

[١٧٦] ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج٢، ص١٩.

[١٧٧] المقدسي، ابن قدامة: مختصر مناهج القاصدين، تحقيق عبدالقادر الأرنؤوط وشعيب الأرنؤوط، دمشق، مكتبة البيان، ص١٧١ــ١٧٢.

www.mtenback.com

عيوبك[178]. ويروى أن رجلاً عاب رجلاً عند بعض الأشراف، فقال له: قد استدللتُ على كثرة عيوبك بما تُكْثر من عيوب الناس، لأن طالب العيوب إنما يطلبها بقَدْرِ ما فيه منها. أما سمعت قول الشاعر[179]:

لاَ تَهْتِكَنْ مِنْ مَسَاوِي النَّاسِ مَا سَتَرُوا ... فَيَهْتِكَ اللهُ سِتْرًا مِن مَسَاوِيْكَا

وَاذْكُرْ مَحَاسِنَ مَافِيْهِم إِذَا ذُكِرُوا ... وَلاَتَعِبْ أَحَدًا مِنْهُمْ بِمَا فِيْكَا

وقبل أن يعيب المرء غيره وينكر عليهم سلوكهم عليه أن يراقب نفسه ويحاسبها، فهذا خير ما يشغل به نفسه. يقول أبو الأسود الدؤلي[180]:

لا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأتِيَ مثلَهُ ... عَارٌ عَلَيْكَ إذا فَعَلْتَ عَظِيْمُ

ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَانْهَهَا عَنْ غَيِّهَا ... فَإِذا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيْمُ

وما أحسن قول الآخر:

وَإِنْ تَجِدْ عَيْبًا فَسُدَّ الخَلَلا ... فَجَلَّ مَنْ لا عَيْبَ فِيْهِ وَعَلا

ومنها: عدم مجالسة رفقاء السوء، والترفع عن الخوض معهم في أحاديثهم، بل ينبغي الترفع عن سماع كلامهم في الغيبة، وما يجري مجراها، قال عمرو بن عبيد لرجل يستمع إلى آخر يغتاب: ويلك نَزِّهْ أذنك عن استماع الخنا كما تنزه لسانك عن النطق به. وقال الشاعر[181]:

وَالسَّامِعُ الذَّامّ شَرِيْكٌ لَهُ ... وَالمُطْعِمُ المَأْكُولَ كَالآكِلِ

---

[178] ابن عبدربه، العقد الفريد، ج٢، ص٣٣٥.

[179] المصدر السابق نفسه.

[180] الراغب الأصبهاني، محاضرات الأدباء، ج٢، ص٣٩٩.

[181] المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

وما أجمل ماقال الشاعر يصف ترفعه عن الغيبة:

وَلَسْتُ بِذِي نَـيْرَبٍ فِـي الْكِـرامِ ... وَمَنَّـاعَ خَـيْرٍ وَسَـبَّابَهَا
وَلاَ مَـنْ إِذا كَـانَ فِـي جَـانِبٍ ... أَضَـاعَ الْعَشِـيْرَةَ وَاغْتَابَهَـا
وَلَكِـنْ أُطَـاوِعُ سَـادَاتِها ... وَلا أَتَعَلَّـمُ أَلْقَابَهَـا

وفي جلساء الخير مندوحة للمرء عن جلساء السوء، فأولئك يأخذون بيده نحو الخير ويسمع منهم كل مفيدٍ وممتع، وهؤلاء يجرون نحو الشر ولا يسمع منهم إلا السوء والفحش والغيبة. استمع إلى كشاجم يصف جليسه فيقول[١٨٢]:

جَلِيْسٍ لِـيْ أَخِـيْ ثِقَـةٍ ... كَـأَنَّ حَدِيْثَـهُ حَـبِرَهْ
يَسُـرُّكَ حُسْـنُ ظَـاهِرِهِ ... وَتَحْمَـدُ مِنْـهُ مُحْتَضَـرَهْ
وَيَسْـتُرُ عَيْـبَ صَاحِبِـهِ ... وَيَسْـتُرُ أَنَّـهُ سَـتَرَهْ

وإذا لم يجد المرء إلا جلساء السوء فليعتزلهم وليجالس الكتاب فهو خير جليس، يُؤمَن مشهده وغيبته، ويفيد منه علمًا وأدبًا وعقلاً ورشدًا. ولعل في هذا الخبر خير دليل على ذلك: حدث أحمد بن عمران قال: كنت عند أبي أيوب أحمد بن محمد بن شجاع، وقد تخلف في منزله، فبعث غلامًا من غلمانه إلى أبي عبدالله بن الأعرابي صاحب الغريب، يسأله المجيء إليه، فعاد إليه الغلام فقال: قد سألته ذلك فقال لي: عندي قوم من الأعراب، فإذا قضيت أربي معهم أتيت، فقال الغلام: وما رأيت عنده أحدًا، إلا أن بين يديه كتبًا ينظر فيها، فينظر في هذا مرةً وفي هذا مرّة، ثم ماشعرنا حتى جاء فقال له أبو أيوب: يا أبا عبدالله، سبحان الله العظيم تخلفت عنا، وحرمتنا

---

[١٨٢] القرطبي، يوسف بن عبد الله بن عبد البر: بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس، تحقيق: محمد مرسي الخولي، بيروت، دار الكتب العلمية، مجلدان، ط ٢ (١٩٨١م) ج ١، ص ٤٥.

www.mtenback.com

الأنس بك، ولقد قال لي الغلام: إنه مارأى عندك أحدًا، وقد قلت له: أنا مع قوم من الأعراب، فإذا قضيت أربي معهم أتيت، فقال[١٨٣]:

لَنَا جُلَسَاءٌ مَا نَمَلُّ حَدِيْثَهُمْ ... أَلِبَّاءُ مَأْمُونُونَ غَيْبًا وَمَشْهَدا

يُفِيْدُونَنا مِنْ عِلْمِهِمْ عِلْمَ مَامَضى ... وَعَقْلاً وَتَأْدِيْبًا وَرَأْيًا مُسَدَّدا

بِلافِتْنَةٍ تُخْشَى وَلا سُوْءِ عِشْرَةٍ ... وَلاَ نَتَّقِي مِنْهُمْ لِسَانًا وَلا يَدا

فَإِنْ قُلْتَ أَمْواتٌ فَلَسْتَ بِكَاذِبٍ ... وَإِنْ قُلْتَ أَحْيَاءٌ فَلَسْتَ مُفَنَّدا

وقال إبراهيم النخعي: «إن الرجل ليجلس مع القوم فيتكلم بالكلام يريد الله به، فتصيبه الرحمة فتعم من حوله، وإن الرجل يجلس مع القوم فيتكلم بالكلام يسخط الله به، فتصيبه السخطة فتعم من حوله»[١٨٤].

وبعد فالسعيد من الناس من ترفع عن الغيبة واتبع سبل النجاة، والشقي من انغمس فيها وغره ماقد يجد من حلاوتها المخترعة وزينتها المصطنعة.

ورحم الله الشاعر إذ يقول[١٨٥]:

لِخَلِيْلِيْ عَلَيَّ مِنِّي ثَلاثٌ ... وَاجِبَاتٌ أُبِيْحُهَا إِخْوَانِي

حِفْظُهُ فِي المَغِيْبِ إِنْ غَابَ عَنِّي ... وَلِقَاهُ بِالْبِشْرِ إِنْ لاَقَانِي

ثُمَّ بَذْلِيْ لِمَا حَوَتْهُ يَمِيْنِيْ ... مُسْعِدًا فِيْ الخُطُوْبِ أَنَّى دَعَانِي

---

[١٨٣] الزبيدي، محمد بن الحسن، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط٢، ص١٩٦-١٩٧.

[١٨٤] القرطبي: بهجة المجالس وأنس المجالس، ج١، ص٥٠.

[١٨٥] الحلبي، عيسى بن البحتري، أنس المسجون وراحة المحزون، تحقيق: محمد أديب الجادر، دار البشائر، دمشق، ط١ (١٤١٧هـ/١٩٩٧م) ص ٢١٦.

www.mtenback.com

هَذِهِ عَـــادَةُ الصَّدِيْـقِ فَـإِنْ خَـا نَ فَعِنْـدِيْ عَوَائِـدُ الإِحْسَـــانِ

النميمة:

ومما يجب حفظ اللسان منه النَّمُّ: وهو الإغراء ورفع الحديث على وجه الإشاعة والإفساد[١٨٦]. وتطلق النميمة في الغالب على نقل قول إنسان في إنسان، وليست مخصوصة بهذا، بل حدّها كَشفُ ما يُكرَه كشفُهُ سواء كان من الأقوال أو الأعمال[١٨٧].

فالنميمة إذن هي السعي بين الناس بالإفساد لتحريض بعضهم على بعض والإيقاع بينهم وشحن قلوبهم بالعداء والضغينة[١٨٨]. ودوافع النميمة هي دوافع الغيبة ذاتها بالإضافة إلى ابتغاء الفتنة وإرادة إذكار الشرور بين الناس، والتفريق بين الأصدقاء والخلان والإخوان، وإثارة القلاقل والحروب والثورات. ولذا لن نعيد القول في الدوافع هنا وإنما سنقصره على جانبين هما:

أثر النميمة وجزاؤها، وما يجب في ردها والحدّ منها:

من أثر النميمة وجزائها ما قيل بأن: «النمام سهم قاتل»[١٨٩]، وحقٌّ ما قيل. فللنميمة أثر سيئ بالغ في الأفراد والمجتمع، بل قد يتعدى المجتمع الواحد إلى غيره من المجتمعات بالحروب والفتن والويلات. ولعل في الخبر التالي ما يجلو هذا الأثر ويصوره أبلغ تصوير: يحكى أن رجلاً باع آخر عبداً وقال له: ما فيه عيب إلا النميمة، فقال

---

[١٨٦] ابن منظور، اللسان (نمم).

[١٨٧] المقدسي، مختصر منهاج القاصدين ص ١٧٤.

[١٨٨] الميداني، عبد الرحمن حبنكة: الأخلاق الإسلامية وأسسها، دمشق، دار القلم، ط٣ (١٤١٣هـ/١٩٩٢م) ج٢، ص٢٤٦.

[١٨٩] الغزالي: إحياء علوم الدين،ج٣، ص١٥٨.

www.mtenback.com

المشتري: رضيت، ومكث الغلام أياماً ثم قال لزوجة مولاه إن سيدي لا يحبك وهو يريد أن يتسرّى عليك، فخذي الموسى واحلقي من شعر قفاه عند نومه شعرات حتى أسحره عليها فيحبك، ثم قال للزوج: إن امرأتك اتخذت خليلاً وتريد أن تقتلك، فتناوم لها حتى تعرف ذلك، فتناوم لها فجاءت المرأة بالموسى فظن أنها تريد قتله فقام إليها فقتلها، فجاء أهل المرأة فقتلوا الزوج، ووقع القتال بين القبيلتين[١٩٠].

وروى عن عطاء بن السائب قال: قدمت من مكة فلقيني الشعبي فقال: يا أبا زيد أطرِفْنا مما سمعت، قلت: سمعت عبدالرحمن بن عبدالله بن سابط يقول: لا يسكن مكةَ سافكُ دمٍ، ولا آكِلُ ربًا، ولا مشّاءٌ بنميم. فعجبتُ منه حين عَدَلَ النميمة بسفك الدماء وأكل الربا، فقال الشعبي: وما يعجبكَ من هذا! وهل تُسفك الدماء وتُركَبُ العظائم إلا بالنميمة؟[١٩١].

وحسب النميمة أنها تبعث على الكراهية، والكراهية تؤدي إلى الغلّ، والغلُّ يوري نار الحقد، ونار الحقد لا تخبو. حسب النميمة هذا حتى تكون من شر الأعمال وأسوأ الأخلاق. قال ابن قتيبة: «قرأت في كتاب للهند: قلما يُمنَعُ القلبُ من القول إذا تردَّدَ عليه، فإن الماءَ ألينُ من القول والحجر أصلب من القلب، وإذا انحدر عليه وطال ذلك أثّرَ فيه، وقد تُقطعُ الشجرةُ بالفؤوسِ فتَنبُتُ ويُقطعُ اللحم بالسيوف فيندمِلُ، واللسانُ لا يندملُ جرحُهُ، والنُّصُولُ تغيب في الجوف فَتُنْزَعُ، والقولُ إذا وصل إلى القلب لم يُنْزَعْ، ولكلّ حريق مُطفِئٌ :للنّار الماءُ، وللسُّمِّ الدواءُ، وللحزنِ الصبرُ، وللعِشْقِ الفُرقةُ، ونارُ الحقدِ لا تخْبُو»[١٩٢].

---

[١٩٠] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج٣، ص١٥٨.

[١٩١] ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج٢، ص ٢٠.

[١٩٢] المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

من أجل هذا كله عُدَّت النميمة من أسوأ الأخلاق، وعُدَّ صاحبها من شرار الناس. قال ﷺ: «ألا أخبركم بشراركم؟ المشاؤون بالنميمة»[١٩٣]، وهو ملعون بنص الحديث الشريف عن النبي ﷺ: «لعن الله المثلِّث: فقيل: يارسول الله ومن المثلِّث؟ فقال الذي يسعى بصاحبه إلى سلطانه فيُهلك نفسَهُ وصاحبَه وسلطانه»[١٩٤]، بل إنه تحرم عليه الجنة لقوله ﷺ: «لا يدخل الجنة نمَّام»[١٩٥]، وفي رواية: «لا يدخل الجنة قَتَّات»[١٩٦].

وقال الجاحظ: النمام الذي يحضر القصة فينقلها. زاد في مجمع البحار: على جهة الفساد والشر. والقتَّات الذي يتسمَّع من حيث لا يُعلم به، ثم ينقلُ ما سمعه. زاد في مجمع البحار: أي يُظهره بالوشاية ويرفعه إلى الناس على وجه الإشاعة والفساد. وقتَّ الحديث: زوَّره وهيأه[١٩٧].

والنميمة من الكبائر التي يعجّل الله لصاحبها العقوبة في قبره، قبل تمامها في آخرته. يؤكد ذلك الحديث الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: مرَّ رسول الله ﷺ على قبرين، فقال: «إنهما يُعذّبان، وما يُعذّبان في كبير، وإنه لكبير، كان أحدهما لا يستترُ من بوله، وكان الآخر يمشي بالنميمة» ثم دعا بجريدة فكسرها كسرتين أو ثنتين فجعل كِسرةً في قبر هذا، وكِسْرَةً في قبر هذا، ثم قال: «لعله يخفّفُ عنهما ما لم ييبسا»[١٩٨].

---

[١٩٣] رواه أحمد،انظر القاري، منلا علي بن سلطان، شرح عين العلم وزين الحلم، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، مجلدان،ج١، ص٤٨٤.

[١٩٤] المبرد، الكامل، ج٢، ص ٨٨٥.

[١٩٥] رواه مسلم من حديث حذيفة، صحيح مسلم،ج١، ص١٠١ (رقم ١٦٨).

[١٩٦] رواه مسلم من حديث حذيفة، صحيح مسلم، ج١، ص١٠١ (رقم ١٦٩). والبخاري في الأدب المفرد.

[١٩٧] الجيلاني، فضل الله، فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد، المكتبة الإسلامية، حمص، سوريا، ج١، ص٤١٠.

[١٩٨] البخاري، صحيح البخاري، باب النميمة من الكبائر،ج٥، ص٢٢٥٠. (رقم ٥٧٠٨) .

www.mtenback.com

وقد تظاهرت الدلائل الشرعية من الكتاب والسنة على تحريم النميمة. قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ. هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾[١٩٩]. وقال أيضًا: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾[٢٠٠]. والهُمَزَة: النمام.

وقال ﷺ: «أحبكم إلى الله أحاسنكم أخلاقًا الموَطّؤون أكنافًا الذين يألَفونَ ويُؤلَفونَ وإنّ أبغضَكُم إلى الله المشّاؤون بالنميمةِ المفرِّقُونَ بين الإخوان الملتَمِسُون للبُرآء العَثَرات»[٢٠١].

ما يجب في ردّها والحدّ منها:

ثمة أمور ينبغي أن يتبعها من نُمي إليه شيء عن أخيه أو صاحبه، ففي اتباعها كفٌّ للأذى وقطع لدابر الفتنة وإرغام للنمّام على الإقلاع عما ارتكبه من إثم. وهذه الأمور هي: عدم تصديق من نمّ، لأن النمام فاسق مردود الشهادة، والله سبحانه يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[٢٠٢].

والنمام لا ينفك عن الكذب والغيبة والغدر والخيانة، وهو أبعد الناس عن أن يكون محلاً للثقة. قال معاوية للأحنف في شيء بلغه عنه فأنكر الأحنف، فقال له معاوية: بَلَّغَني عنك الثقة، فقال الأحنف: «إن الثقة لا يُبَلِّغ»[٢٠٣]. وما أحسن ما قال الشاعر في هذا[٢٠٤]:

---

[١٩٩] سورة القلم: ١٠-١١.

[٢٠٠] سورة الهمزة: ١.

[٢٠١] أخرجه الطبراني في الأوسط والصغير، انظر الغزالي: إحياء علوم الدين، ج٣، ص ١٥٥.

[٢٠٢] سورة الحجرات: ٦

[٢٠٣] المبرد، الكامل، ج٢، ص ٨٨٥.

[٢٠٤] الحمصي، عيون الأشعار وروائع الأفكار، ص ٢٢٥.

www.mtenback.com

لاَ تَقْبَلَنَّ نَمِيْمَةً بُلِّغْتَهَا ... وَتَحَفَّظَنَّ مِنَ الَّذِيْ أَنْبَاكَهَا

إِنَّ الَّذِيْ أَلْقَى إِلَيْكَ نَمِيْمَةً ... سَيَنِمُّ عَنْكَ بِمِثْلِهَا قَدْ حَاكَهَا

وأن ينهاه عن ذلك وينصح له ويقبح عليه فعله. قال الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[٢٠٥]. وروي أن رجلاً ذَكَرَ لعمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه رجلاً بشيء، فقال عمر: إن شئت نظرنا في أمرنا، فإن كنت كاذبًا فأنت من أهل هذه الآية: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾[٢٠٦]، وإن كنت صادقًا فأنت من أهل هذه الآية ﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾[٢٠٧]، وإن شئت عفونا عنك، فقال: العفو يا أمير المؤمنين، لا أعود إليه أبدًا[٢٠٨].

ويستحق أن يُبغض النمام لأنه بغيض إلى الله سبحانه، يروى أنّه ذُكِر السُّعاة عند المأمون فقال رجل ممن حضر: يا أمير المؤمنين: لو لم يكن من عيبهم إلا أنهم أصدقَ ما يكونونُ أبغضُ ما يكونون إلى الله لكفاهم[٢٠٩].

وما أصدق ما قال عبدة بن الطبيب[٢١٠]:

وَاعْصُوْا الَّذِيْ يُسْدِيْ النَّمِيْمَةَ بَيْنَكُمْ ... مُتَنَصِّحًا وَهُوَ السَّمَامُ الْمُنْقَعُ

يُزْجِي عَقَارِبَهُ لِيَبْعَثَ بَيْنَكُمْ ... حَرْبًا كَمَا بَعَثَ الْعُرُوقَ الأَخْدَعُ

حَرَّانَ لا يَشْفِي غَلِيلَ فُؤَادِهِ ... عَسَلٌ بِمَاءٍ فِي الإِنَاءِ مُشَعْشَعُ

---

[٢٠٥] سورة لقمان: ١٧.

[٢٠٦] سورة الحجرات: ٦.

[٢٠٧] سورة القلم: ١١.

[٢٠٨] النووي، يحيى بن شرف، الأذكار، ص٣٩٠.

[٢٠٩] ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج٢، ص٢٠.

[٢١٠] المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

لاَ تَـأَمَنُوا قَومًـا يَشِـبُّ صَبِيُّهُـم ... بَيْـنَ القَبَـائِلِ بِـالَعَدَاوَةِ يُنْسَـعُ
إِنْ الَّذِيْـنَ تَرَوْنَهُـمْ خِلاّنَكُـم ... يَشْفِي صُدَاعَ رُؤُوسِهِمْ أَنْ تُصرَعُـوا
فَضَلَتْ عَداوَتُهُمْ علـى أَحْلامِهِـمْ ... وَأَبَتْ ضَبابُ صُدُورِهِـمْ لا تُـنْزَعُ
قَـوْمٌ إِذَا دَمَـسَ الظَّـلاَمُ عَلَيْهِـمُ ... حَدَجوا قَنَـافِذَ بِالنَّمِيْمَـةِ تُمـزَعُ

ثم إن المبلِّغ بسوء عن أخ لم يطلب إليه ذلك التبليغ هو القمين بالسوء، ولو كان ينطوي على محبة لمن بَلَّغه لسكت عن تبليغه، وسلك سبل التوفيق والمصالحة بين الإخوة لا الإفساد والوشاية والسعاية بالسوء. وفي هذا يقول صالح بن عبد القدوس[٢١١]:

مَـنْ يُخَـبِّرْكَ بِشَـتْمٍ عَـنْ أَخٍ ... فهُـوَ الشّـاتِمُ لا مَـنْ شَـتَمَكْ
ذَاكَ شَـيْءٌ لَـمْ يُوَاجِهْـكَ بِـهِ ... إِنَّمَا اللَّـومُ عَلَـى مَـنْ أَعْلَمَـكْ

ألا يظن بأخيه الغائب السوء لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾[٢١٢]. فالصداقة أغلى وأثمن من أن تضيع بسبب وشاية أو نميمة. يقول الشاعر[٢١٣]:

إِذَا الوَاشِـي نَعَـى يَوْمًـا صَدِيْقًـا ... فَلاَ تَدَعِ الصَّدِيْـقَ لِقَـولِ وَاشِـي

والذي يمكّن الوشاة من أذنيه فيصدقُهم يمكن أن يفرّط في كثيرٍ من صداقاته، بل سيغدو يومًا فردًا لا صاحبَ له كما قال الأعشى[٢١٤]:

---

[٢١١] الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج١، ص ٢٨١.

[٢١٢] سورة الحجرات: ١٢.

[٢١٣] ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج٢، ص٢٠

[٢١٤] الأعشى، ميمون بن قيس: ديوان الأعشى الكبير، تحقيق د.محمد أحمد قاسم، بيروت، المكتب الإسلامي، ط١ (١٤١٥هـ/١٩٩٤م) ص ٦٤.

www.mtenback.com

وَمَنْ يُطِعِ الوَاشِينَ لا يَسْتَرْكُوا لَهُ صَدِيْقًا وَإِنْ كَانَ الحَبِيْبَ المُقَرَّبَا

فالكيِّس الفطن من لا يصدّق أهل النميمة والوشاية كالذي قاله أبو العلاء[٢١٥]:

أَعِنْدِيْ وَقَدْ مَارَسْتُ كُلَّ خَفِيَّةٍ يُصَدَّقُ وَاشٍ أَو يُخَيَّبُ سَائِلُ

وألاَّ يحمله ما حكي له على التجسّس والبحث عن تحقق ذلك لقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَجَسَّسُوا﴾[٢١٦]. يحكى أن بعض السُّعاة رفع إلى الصاحب بن عبادٍ رقعة نبّه فيها على مال يتيم يحمله على أخذه لكثرته، فوقّع على ظهرها: السعاية قبيحة وإن كانت صحيحة، فإن أجريتها مجرى النصح فخسرانك فيها أفضل من الربح، ومعاذ الله أن نقبل مهتوكًا في ستر، و لولا أنك في خفارة شيبتك لقابلناك بما يقتضيه فعلك في مثلك، فتوقَّ يا ملعون العيب فإن الله أعلم بالغيب، المليت رحمه الله، واليتيم جبره الله، والمال ثمّره الله، والساعي لعنه الله»[٢١٧].

وسعى رجل بزياد الأعجم إلى سليمان بن عبدالملك ، فجمع بينهما للموافقة، فأقبل زياد على الرجل وقال[٢١٨]:

فَأَنْتَ امْرُؤٌ إِمَّا ائْتَمَنْتُكَ خَالِيًا فَخُنْتَ وَإِمَّا قُلْتَ قَوْلاً بِلا عِلْمِ

فَأَنْتَ مِنَ الأَمْرِ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا بِمَنْزِلَةٍ بَيْنَ الخِيَانَةِ وَالإِثْمِ

ومنها ألاّ يرضى لنفسه ما نهى النمام عنه فلا يحكي نميمته، وليعتقد إن نمَّ لَه نمَّ عليه.

---

[٢١٥] المعري، أبو العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان: ديوان سَقْط الزَّند، تحقيق د. عمر فاروق الطباع، بيروت، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم،ط١ (١٤١٨هـ/١١٩٨م) ص ٢٢٧.

[٢١٦] سورة الحجرات: ١٢.

[٢١٧] الغزالي: الإحياء، ج٣، ص ١٥٧.

[٢١٨] المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

وذكر أن حكيمًا من الحكماء زاره بعض إخوانه فأخبره بخبر عن بعض أصدقائه فقال له الحكيم: «قد أبطأت في الزيارة وأتيت بثلاث جنايات، بغّضت أخي إلي، وشغلت قلبي الفارغ، واتهمت نفسك الأمينة»[٢١٩].

وقال الحسن البصري: «من نمّ إليك نمّ عليك. ومن نقل إليك حديثًا فاعلم أنه ينقل إلى غيرك حديثك»[٢٢٠].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن أحابيل الشيطان قد تزيّن للمرء أمرًا توهمه أن به النجاة من إثم لتوقعه في إثم أسوأ منه. وفي ذلك يحكى أن رَقَبة بن مَصْقلة كان جالسًا مع أصحابه، فذكروا رجلاً بشيءٍ، فاطّلع ذلك الرجلُ، فقال له بعضُ أصحابه: ألا أُخبره بما قلنا فيه لئلا تكون غيبة ؟ قال: أخبره حتى تكون نميمة[٢٢١].

ولا ريب أن النميمة صنو الغيبة في الإثم إن لم تكن أسوأ منها وأشدّ خطرًا . وخطرها يعظم بعلو مقام سامعها، ولذلك كان أخطرها على الإطلاق ما جرى في حضرة السلطان وأولي الأمر. دخل رجل على سليمان بن عبدالملك فاستأذنه في الكلام وقال: «إني مكلّمكَ يا أمير المؤمنين بكلام فاحتمله إن كرهته فإن وراءه ما تحبّ إن قبلته. فقال: قل، فقال: يا أمير المؤمنين إنه قد اكتنفك رجال ابتاعوا دنياك بدينهم، ورضاك بسخط ربهم ، خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك، فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه، ولا تصغ إليهم فيما استحفظك الله إياه، فإنهم لن يألوا في الأمة خَسْفًا وفي الأمانة تضييعًا والأعراض قطعًا وانتهاكًا، أعلى قربهم البغي والنميمة، وأجلّ وسائلهم الغيبة والوقيعة، وأنت مسؤول عما أجرموا وليسوا المسؤولين عما أجرمت، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك، فإن أعظم الناس غُبنًا من باع آخرته بدنيا غيره»[٢٢٢].

---

[٢١٩] الغزالي: الإحياء، ج٣،ص ١٥٦.

[٢٢٠] المصدر السابق نفسه.

[٢٢١] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص ٣٣٤.

[٢٢٢] الغزالي: الإحياء،ج٣، ص ١٥٧.

www.mtenback.com

اللغو وكثرة الكلام

ومما يحفظ اللسان منه اللغو. واللغو: السَّقْط وما لا يعتدُّ به من كلام وغيره، ولا يُحصَل منه على فائدة ولا نفع[٢٢٣]. ولعله مأخوذ من لغو الطير وهو صوتُها، والطير تلغي بأصواتها أي تَنْغَم. ويقال: سمعت لَغْوَ الطائر ولحنَه، وقد لغا يلغو، وقال ثعلبة بن صُعير[٢٢٤]:

بَاكَرْتُهُمْ بِسِبَاءِ جَوْنٍ ذَارِعٍ ... قَبْلَ الصَّبَاحِ وَقَبْلَ لَغْوِ الطَّائِرِ

واجتناب اللغو بل الإعراض عنه في مقدمة الصفات التي وصف بها الله سبحانه المؤمنين حيث قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾[٢٢٥].

وعبارة كثرة الكلام يراد بها اللغو نفسه؛ لأن المقصود منها كثرة الكلام فيما لا طائل تحته ولا جدوى منه، مما يدخل في باب اللغو. وهو أمر مرذول وخلق ذميم طالما وردت الأخبار و الآثار بالنهي عنه والأمر باجتنابه، حتى لو أدى الأمر إلى لزوم الصمت. فالصمت خير من كثرة الكلام واللغو. وما أحسن ما قال أبو نواس في ذلك[٢٢٦]:

مُتْ بِدَاءِ الصَّمْتِ خَيْرٌ ... لَكَ مِنْ دَاءِ الكَلَامِ
رُبَّمَا اسْتَفْتَحْتَ بِالْمَزْ ... حِ مَغَالِيقَ الحِمَامِ
إِنَّمَا السَّالِمُ مِن أَلْـ ... ـجَمَ فَاهُ بِلِجَامِ

---

[٢٢٣] ابن منظور، اللسان (لغو).

[٢٢٤] المصدر السابق نفسه.

[٢٢٥] سورة المؤمنون: ١-٣.

[٢٢٦] أبو نواس، الحسن بن هانئ: ديوان أبي نواس، بيروت، دار صادر، ط٢ (١٤١٨هـ/١٩٩٨م). ص٥٧٨.

www.mtenback.com

وَالْـمَـنَايَـا آكِـلاَتٌ شَـارِبَـاتٌ لِلأَنَـامِ

وللغو جوانب كثيرة منها:

الكلام فيما لا يعنيك. ومعناه أن تتكلم بكلام لو سكتَّ عنه لم تأثم و لم تُستضَّر به في حالٍ ولا مال[٢٢٧]. ومن صوره أن تسأل غيرك عما لا يعنيك. فأنت بالسؤال مضيع وقتك، وقد ألجأت صاحبك أيضا بالجواب إلى التضييع[٢٢٨]. وقد جاء في الحديث: «مِن حُسْنِ إسلامِ المرءِ تركُهُ مالا يعنيه»[٢٢٩]، وقيل للقمان الحكيم: ماحكمتك ؟ قال: لا أسأل عما كُفيتُ، ولا أتكلَّفُ ما لا يعنيني[٢٣٠].

وكلام المرء فيما لا يعنيه قد يورده المهالك،ويجلب له البلايا والمصائب. ولعل أدنى ذلك أن يسمع ما لا يرضيه، وأن يهين نفسه ويعرضها لمواقف الحرج والذل. ورحم الله الشاعر إذ يقول[٢٣١]:

وَأُكْـرِمُ نَفْسِـي إِنَّنِـيْ إِنْ أَهَنْتُهَـا وَحَقِّكَ لَمْ تُكْرَمْ عَلَى أَحَـدٍ بعـدي

ولعله مأخوذ من قول زهير: ومن لا يُكَرِّمْ نفسَهُ لا يُكَرَّمِ[٢٣٢]

ولذلك قال الآخر[٢٣٣]:

لَعَمْرُكَ مَا شَـيء عَلِمْـتَ مَكَانَـهُ أَحَقُّ بِسَـجْنٍ مـن لِسَـانٍ مُذَلَّـلِ

عَلَى فِيْكَ مِمَّا لَيْسَ يَعْنِيْـكَ قَوْلُـهُ بِقُفْلٍ شَدِيْدٍ حَيْثُمَـا كُنْـتَ فَـاقْفُلِ

---

[٢٢٧] الغزالي: الإحياء،ج٣، ص ١١٣.

[٢٢٨] رواه الترمذي من حديث أبي هريرة، الجامع الصحيح،ج٤،ص٥٥٨(رقم ٢٣١٧).

[٢٢٩] ابن أبي الدنيا: الصمت وآداب اللسان.ص٦٠.

[٢٣٠] المصدر السابق نفسه.

[٢٣١] الحلبي، عيسى بن البحتري، أنس المسجون وراحة المحزون ١٩١.

[٢٣٢] زهير بن أبي سلمى، شرح ديوانه، شرح وتعليق د.أحمد طلعت، مؤسسة دار البيان، دار القاموس الحديث، بيروت، ط٢ (١٩٧٠م) ص ٣٤.

[٢٣٣] البيهقي: المحاسن والمساوئ ٩٥/٢.

www.mtenback.com

وقالت الحكماء: «خير الكلام ما أغنى اختصاره عن إكثاره»[٢٣٤].

وقال الشاعر[٢٣٥]:

أَقْلِلْ كَلاَمَكَ وَاسْتَعِذْ مِنْ شَرِّهِ إِنَّ البَلاَءَ بِبَعْضِهِ مَقْرُونُ

ومن ضياع الأمر وآفات اللسان الخوضُ في الباطل: وهو الكلام في المعاصي والمآثم، كذكر أحوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفسّاق[٢٣٦] وما إلى ذلك. وإليه الإشارة في قوله تعالى حكايةً عن لسان المجرمين الآثمين المعذّبين في سَقَر: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾[٢٣٧]. وقد أمر سبحانه أن يُعتزل المجلس الذي يخوض أصحابه في الباطل وذلك حيث يقول: ﴿فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾[٢٣٨]. وبيّن في موطن آخر أن ما يحسبه الناس من أمر الخوض في أعراض الناس هيّنًا ليس كذلك عند الله عز وجل: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾[٢٣٩].

وقد صور لنا رسول الله ﷺ مبلغ الخطر في هذا الخوض إذ قال: «إنّ أحدكم ليتكلم بالكلمة من سُخط الله ما يظنّ أن تبلغَ ما بلغت فيكتب الله عزّ وجلّ عليه بها سُخْطَهُ إلى يوم يلقاه»[٢٤٠].

---

[٢٣٤] المبرد،الكامل، ج٢، ص ٨٨٢.

[٢٣٥] الراغب الأصبهاني،محاضرات الأدباء، ج١، ص ٦٨.

[٢٣٦] الغزالي: الإحياء ٣/١١٥.

[٢٣٧] سورة المدثر: ٤٥.

[٢٣٨] سورة النساء: ١٤٠.

[٢٣٩] سورة النور: ١٥.

[٢٤٠] رواه ابن ماجَهْ من حديث بلال بن الحارث المزني، انظر ابن ماجة، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجة، تحقيق:خليل مأمون شيحا، بيروت، دار المعرفة، ط١ (١٤١٦هـ/١٩٩٦م)، ج٤، ص٣٤٠ رقم (٣٩٦٩).

www.mtenback.com

ومنها السؤال عن غوامض الدين ودقائقه مما هو ليس مطلوبًا ولا مندوبًا إليه، كسؤال العوامّ عن صفات الله تعالى وعن كلامه، وعن الحروف وأنها قديمة أو محدثة، ومن حقّهم الاشتغال بالعمل بما في القرآن والسنة إلا أن ذلك ثقيل على النفوس والفضولَ خفيف على القلب[٢٤١]. وقد نهى الله سبحانه عن التسرع بالسؤال فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[٢٤٢]، وبيّن الرسول ﷺ خطر ذلك بقوله: «دعوني ما تركتكم إنّما أهلَكَ من كان قبلكم سؤالُهم واختلافُهم على أنبيائهم فإذا نهيتكم عن شيءٍ فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمرٍ فأتوا منه ما استطعتم»[٢٤٣].

ومن آثار اللغو السلبية في الفرد والمجتمع على حدٍّ سواء، واللاغي إن نجا من بعضها فهو لاشك واقع في بعضها الآخر، فهو لا يأمن إذن أن يبوء ببعضها أوبها جميعًا.

فمن ذلك كثرة الخطأ والزلل، وفي هذا يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «من كثر كلامه كثر سَقَطُه»[٢٤٤] وقال يعقوب عليه السلام لبنيه: «يا بَنِّي إذا دخلتم على السلطان فَأَقِلُّوا الكلام»[٢٤٥].

ومن ذلك إضاعة الوقت والجهد فيما لا طائل تحته، والوقت أثمن ما يمتلك المرء، فإذا أضاعه أضاع عمره، يقول الحسن البصري: «ابنَ آدم إنّما أنتَ أيام كلّما ذهبَ يومٌ ذهبَ بعضُك»، ويقول شوقي[٢٤٦]:

---

[٢٤١] الغزالي: الإحياء ٣ /١٦٢.

[٢٤٢] سورة المائدة: ١٠١.

[٢٤٣] البخاري، صحيح البخاري، ج٦، ص ٢٦٥٨. (رقم ٦٨٥٨).

[٢٤٤] القرطبي: بهجة المجالس وأنس المجالس ١/٦٠.

[٢٤٥] المصدر السابق نفسه.

[٢٤٦] شوقي: أحمد، ديوانه الشوقيات، دار العودة، بيروت، (١٩٨٣م)، ج٢، ص١٥٨.

www.mtenback.com

دَقَّـاتُ قَلْـبِ المَـرْءِ قَائِلَـةٌ لَـهُ إِنَّ الْحَيَـاةَ دَقَـائِقٌ وَثَوَانِـي

ومن ذلك كسب الإثم، واجتراح السيئات، وفي هذا يقول الرسول: «إن أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضًا في الباطل»[٢٤٧]. ويقول بعض الحكماء: «من كثر كلامه كثرت آثامه»[٢٤٨].

من أجل هذا كله كان جزاء اللغو عسيرًا، وهو معجّل لصاحبه في دنياه قبل آخرته، كيف لا ؟ واللاغي عرضة للخطأ والزلل وإضاعة الوقت والجهد، كما أنه بِلَغْوِه يسيء إلى نفسه وإلى الناس كافة.

واجتراح السيئات! لقد شبّه بعضهم اللسان بالسبع العقور يأكل صاحبه. وفي ذلك يقول الخشَني[٢٤٩]:

لِسَانُ الْفَتَى سَبْعٌ عَلَيْهِ مُرَاقِبٌ فَإِنْ لَمْ يَزَعْ مِنْ غَرْبِهِ فَهْوَ آكِلُه

ويقول آخر[٢٥٠]:

رَأَيْتُ اللِّسَانَ عَلَى أَهْلِهِ إِذَا سَاسَهُ الجَهْلُ لَيْثًا مُغِيْرًا

وما أكثر من جنى عليه في الدنيا لسانه، كبشار بن برد والمتنبي ووضّاح اليمن وغيرهم كثير. وفي هذا يقول الشاعر[٢٥١]:

يَمُوتُ الْفَتَى مِنْ عَثْرَةٍ بِلِسَانِهِ وَلَيْسَ يُصَابُ الْمَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ الرِّجْلِ

وَعَثْرَتُهُ مِنْ فِيهِ تُودِي بِرَأْسِهِ وَعَثْرَتُهُ فِي الرِّجْلِ تَبْرَى عَلَى مَهْلِ

---

[٢٤٧] ابن أبي الدنيا: الصمت وآداب اللسان، ص ٧٣.

[٢٤٨] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص ٢٧٨.

[٢٤٩] القرطبي: بهجة المجالس وأنس المجالس، ١/٧٩.

[٢٥٠] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص ٢٧٨.

[٢٥١] البيهقي: المحاسن والمساوئ ٢/٩٢.

www.mtenback.com

وفي قصة الشاعر يزيد بن مُفرِّغ عبرة لمن أراد أن يعتبر؛ ذلك أنه كان نديمًا مصاحبًا لعبّاد بن زياد بن أبيه، فخرجا معًا يتنزهان في أمسية هواؤها عليل، فعبث الهواء بلحية عباد الطويلة فما كان من زياد إلا أن قال:

أَلاَ لَيْتَ اللِّحَى كَانَتْ حَشِيْشًا فَنَعْلِفَهَا خُيُوْلَ الْمُسْلِمِيْنَا

فغضب عليه عبّاد وألقى به في السجن ونكّل به أشدَّ النكال لتلك الكلمة التي قال. ثم أطلقه فقال قصيدته التي منها البيت المشهور:

عَدَسْ مَا لِعَبَّادٍ عَلَيْكِ إِمَارَةٌ أَمِنْتِ وَهَذَا تَحْمَلِيْنَ طَلِيْقُ

فأتى البصرة، وانتقل إلى الشام، وجعل يتنقل ويهجو عباداً وأباه وأهله، فقبض عليه عبيدالله بن زياد في البصرة وحبسه وأنزل به أشد العذاب، وأراد أن يقتله فلم يأذن له معاوية، وقال: أدِّبْهُ. فقيل : إنه أمر به، فسقي مسهلاً وأُركب حمارًا ، وطيف به في أسواق البصرة، واتّسخ ثوبه من المسهل فقال:

يَغْسِلُ المَاءُ مَا صَنَعْتَ وَشِعْرِيْ رَاسِخٌ مِنْكَ فِي العِظَامِ البَوَالِي

وقيل: كان ابن مفرّغ يكتب هجاءه لعبّاد على الجدران، فلما ظفر به عبيدالله ألزمه محوه بأظفاره. وطال سجنه، فكلم فيه بعض الناس معاوية، فوجّه بريدًا إلى البصرة بإخراجه، فأطلق[٢٥٢].

وإذا كان هذا هو عذاب الدنيا فلا ريب أن عذاب الآخرة أشدُّ وأخزى. وما أكثر الآثار التي وردت في جزاء من لا يحفظ لسانه ويخوض في اللغو في الباطل مع الخائضين، وحسبنا منها هنا قول الرسول ﷺ: «وهل يَكُبُّ الناسَ في النار على وجوههم إلا حصائدُ ألسنتهم»[٢٥٣].

---

[٢٥٢] الزركلي،خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، (١٩٨٠)،١٨٣/٨.

[٢٥٣] رواه الترمذي من حديث معاذ بن جبل، انظر النووي، يحيى بن شرف، رياض الصالحين، تحقيق عبدالعزيز رباح وأحمد الدقاق، دمشق، دار المأمون للتراث، ط٢، ص ٥٧٧.

www.mtenback.com

إن العاقل المتبصّر يتخيّر ألفاظه وينتقي كلماته، لما يعلم من أثر ذلك ومسؤوليته. ما أخطر هذه المسؤولية التي يبينها قوله ﷺ: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبيّنُ ما فيها يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب»[٢٥٤].

سبل اجتنابه والحدّ منه:

خير سبيل لاجتناب اللغو وكثرة الكلام الشعور بمسؤولية الكلمة وخطورتها، وتحكيم العقل فيما يقال، ومراقبة الله في السرّ والعلن. ولعل كلمة الإمام علي هي الحدّ الفصل في ذلك إذ يقول: «لسان العاقل وراء قلبه وقلب الأحمق وراء لسانه»[٢٥٥]. وإذا أراد الإنسان أن يتحقق بهذا فلابد له من اتباع السبل التالية:

قلة الكلام: إذا كانت كثرة الكلام مظنة السقوط والخطأ، فقلته مظنة السلامة والنجاة. يقول الحسن البصري: «رحم الله عبداً أوجز في كلامه، واقتصر على فصاحته، فإن الله يكره كثرة الكلام»[٢٥٦] فخير الكلام ما قلّت ألفاظه وكثرت معانيه. وفي ذلك يقول أحمد بن إسماعيل الكاتب[٢٥٧]:

خَيْرُ الْكَلاَمِ قَلِيْلُ ... عَلَى كَثِيْرٍ دَلِيْلُ
وَالْعِيُّ مَعْنًى قَصِيْرٌ ... يَحْوِيْهِ لَفْظٌ طَوِيْلُ

ويقول منصور الفقيه[٢٥٨]:

تَعَمَّدْ لِحَذْفِ فُضُولِ الْكَلاَمِ ... إِذَا مَا نَأَيْتَ وَعِنْدَ التَّدَانِي

---

[٢٥٤] رواه مسلم من حديث أبي هريرة، صحيح مسلم،ج٤، ص ٢٢٩٠ (رقم ٢٩٨٨).

[٢٥٥] علي بن أبي طالب، نهج البلاغة، ص ٤١٢. وقد تقدمت هذه الكلمة ص٨.

[٢٥٦] القرطبي: بهجة المجالس ١ /٦١.

[٢٥٧] المصدر السابق نفسه.

[٢٥٨] المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

وَلاَ تُكْثِرَنَّ فَخَيْرُ الْكَلاَمِ الـ ـقَلِيْلُ الحُرُوفِ الكَثِيْرُ المَعَانِي

وَلأن تؤدي قلة الكلام إلى الصمت خير من أن تؤدي كثرته إلى المعاطب والمهالك. وإذا لم يكن ذا نفع وفائدة وذا خير وعائدة فالصمت أولى وأحسن. قال أُحَيْحَة بن الجلاح[٢٥٩]:

وَالصَّمْتُ خَيْرٌ لِلفَتَى مَالَمْ يَكُنْ عِيٌّ يَشِيْنُهْ
وَالقَوْلُ ذُو خَطَلٍ إِذَا مَالَمْ يَكُنْ لُبٌّ يُعِينُهْ

وقال بعض الكلبيين[٢٦٠]:

وَاعْلَمْ بِأَنَّ مِنَ السُّكُوْتِ إِبَانَةٌ وَمِن التَّكَلُّمِ مَا يَكُونُ خَبَالا

والرقابة الصارمة على الكلام: فلا يكفي التقليل من الكلام فقد يكون مع القليل زَلَلٌ وتجاوز إن لم تكن ثمة رقابةٌ على هذا الكلام، وتحكيم للعقل والعرف، ومراقبةٌ للذات. قال الشاعر[٢٦١]:

وصُنِ الكَلامَ إِذَا نَطَقْتَ وَلاَ تَكُنْ عَجِلاً بِقَولِكَ قَبْلَمَا تَتَفَهَّمُ
لَمْ تُعْطَ مَعْ أُذُنَيْكَ نُطْقًا وَاحِدًا إِلاَ لِتَسْمَعَ ضِعْفَ مَا تَتَكَلَّمُ

وقال آخر[٢٦٢]:

الفِكْرُ قَبْلَ القَوْلِ يُؤْمَنُ زَيْفُهُ شَتَّانَ بَيْنَ رَوِيَّةٍ وَبَدِيَّةِ

---

[٢٥٩] الجاحظ، البيان والتبيين، ٢/٢٧٥.

[٢٦٠] ابن رشيق، القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ج١، ص٢٤٣.

[٢٦١] الحمصي، عيون الأشعار، وروائع الأفكار، ص٥٦.

[٢٦٢] الجاحظ، البيان والتبيين، ٢/٢٠٠.

www.mtenback.com

وكان يقال: «خمس خصالٍ تكون في الجاهل: الغضب في غير غضب، والكلام في غير نفع، والعطية في غير موضع، والثقة بكل أحد، وألاّ يعرف صديقه من عدوّه»[٢٦٣]. وقال أبو تمام[٢٦٤]:

وَمِمَّا كَانَتِ الحُكَمَاءُ قَالَتْ لِسَانُ المَرْءِ مِن تَبَعِ الفُؤَادِ

والكلمة أسيرة في وَثاق الرجل، فإذا تكلم بها كان أسيرًا في وَثاقها. وفي ذلك يقول الراجز[٢٦٥]:

القَوْلُ لا تَمْلِكُهُ إِذَا نَمَى كَالسَّهْمِ لاَ يُرجِعُهُ رَامٍ رَمَى

ومنها اعتزال مجالس السوء: فاللغو نتيجة حتمية لمثل هذه المجالس، إذ به تَعْمُر، وبكثرة الكلام تطول، وبالخوض بالباطل تحلو وتجمُل وهو - لعمري - جمالٌ ظاهر يغطي على قبحٍ باطن، وحلاوة مبتسرة تقود إلى مرارة مُنكَرة.وما أكثر من طالت لوعته بصحبة اللئام الفجرة، فحريٌّ بالمرء أن يتخيّر أصحابه، وألا يجالس إلا مَنْ يدلّه على الصراط السويّ، ويعينه على المضيّ في طريق الخير، وينهاه عن كلّ سوء وضَيْر.

وما أجمل نصيحة علقمة بن ليث لولده إذ قال: «يا بني إن نازعتك نفسك يومًا لمصاحبة الرجال، فاصحبْ من إذا صاحبته زانَك، وإذا نزلت بك مؤنة مانك، واصحبْ من إذا قلت الحقَّ صدق قولك، وإذا صُلتَ ضد الباطل شدَّد صولك. اصحبْ من إذا رأى منك حسنة عدّها، أو رأى سيئةً سدّها. اصحبْ من إذا طلبت منه أعطاك، وإذا سكتَّ عنه ابتداك. اصحبْ من يدلُّك على الله حالُه ومقالُه»[٢٦٦].

---

[٢٦٣] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص٢٧٧.

[٢٦٤] ابن رشيق: العمدة، ج١، ص ٢٤٣.

[٢٦٥] القرطبي: بهجة المجالس ٧٩/١.

[٢٦٦] الحمصي، عيون الأشعار و روائع الأفكار، ص ١١٤.

www.mtenback.com

إن النجاة من مجالس السوء واللغو والخوض في الباطل ضرب من ضروب النعيم التي وعد الله بها عباده المتقين. ومن يستعرض تلك المشاهد القرآنية التي عرض الله فيها صنوف النعيم التي ينالها الفائزون من عباده يجد الإعراض عن اللغو وعدم الخوض فيه من أبرز معالمها. ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[٢٦٧].

وقوله تعالى في سورة الواقعة: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا . إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾[٢٦٨]. وقوله تعالى في سورة النبأ: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا﴾[٢٦٩].

وقد كان هذا جزاءً وفاقًا لما قدموه في الدنيا من إعراضهم عن مجالس اللغو وعدم خوضهم في الباطل مع الخائضين: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾[٢٧٠]، ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾[٢٧١]. ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾[٢٧٢].

التقعّر في الكلام ورفع الصوت:

يحفظ اللسان من التقعر في الكلام، وهو ما يكون بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه بالتشبيهات والمقدمات وما جرت به عادة المتفاصحين المدّعين للخطابة. ويمكن أن نلحق بالتقعّر تكلّف الحوشي والغريب من الألفاظ والمفردات والتراكيب التي يخفى معناها على كثير من الناس. وكل ذلك من التصنع المذموم، ومن

---

[٢٦٧] سورة مريم: ٦٢.

[٢٦٨] سورة الواقعة: ٢٥-٢٦.

[٢٦٩] سورة النبأ: ٣٥.

[٢٧٠] سورة المؤمنون: ٣.

[٢٧١] سورة الفرقان: ٧٢.

[٢٧٢] سورة القصص: ٥٥.

www.mtenback.com

التكلّف الممقوت الذي تبرأ منه الرسول بقوله: «أنا وأتقياء أمتي برآء من التكلف»[٢٧٣].

ورفع الصوت ملحق بالتقعّر، لأنه ضرب من ضروب التكلّف، وهو يدل على اضطراب الشخصية وغليان النفس وعدم اتّزان التفكير. وقد نهى ربنا جل وعلا عن ذلك فقال في محكم بيانه على لسان لقمان وهو يعظ ابنه: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾[٢٧٤].

ومن أسباب ذمّ التكلف ما جبلت عليه النفوس من حبٍّ ما فطرت عليه من الطبيعة غير المصطنعة والسليقة غير المتكلّفة، ولذا فهي تنفر من كل تكلف وتصنع أنّى كان وكيف كان. يقول الجاحظ: «ولم أرهم يذمّون المتكلف للبلاغة فقط، بل كذلك يرون المتطرّف والمتكلف للغناء. ولا يكادون يضعون اسم المتكلف إلا في المواضع التي يذمّونها»، قال قيس بن الخطيم[٢٧٥]:

فَمَا المَالُ وَالأَخْلاَقُ إِلاَّ مُعَارَةٌ ... فَمَا اسْطَعْتَ مِن مَعْرُوفِهَا فَتَزَوَّدِ

وَإِنِّي لأَغْنَى النَّاسِ عَنْ مُتَكَلِّفٍ ... يَرَى النَّاسَ ضُلاَّلاً وَلَيْسَ بِمُهْتَدِ

وجعل ابن قميئة صلة دائمة بين العجز والتكلف، فإذا عجز بعض الناس عن شيء أظهر تكلفه والقدرة عليه، فيعرف الناس منه ذلك التكلف ويجمعون عليه عيب العجز وعيب التكلف[٢٧٦]:

---

[٢٧٣] الغزالي: الإحياء ٣/١٢٠.

[٢٧٤] سورة لقمان: ١٩.

[٢٧٥] قيس بن الخطيم: ديوانه، تحقيق: ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت، ط٣، (١٤١١هـ/١٩٩١م)، ص١٢٨.

[٢٧٦] عمرو بن قميئة الضبي: ديوانه، عني بتحقيقه وشرحه و التعليق عليه: حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، (١٣٨٥هـ/١٩٦٥م)، ص٢٠٢.

www.mtenback.com

وَحَمَّالُ أَثْقَالٍ إِذَا هِـــيَ أَعْرَضَـــتْ عَنِ الأَصْلِ لاَ يَسْـــطِيعُهَا الْمُتَكَلِّـــفُ

وجاء في الحديث: «إنّ أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاســـنُكم أخلاقًا الموطَّؤُون أكنافًا الذين يألفون ويُؤلفون وإنّ أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني مجلسًـــا يوم القيامة الثرثارونَ المتشدِّقونَ المتفيقهونَ»[٢٧٧].

فالمتكلف غير محبوب، بل هو منبوذ من خاصّة الناس وعامّتهم، وأشدُّ ما يتبدّى التكلف في التشدّق واصطناع الكلام المونق وملء الفم به. وفي ذلك يقول مورَقُ العبد يتهكم بتناقض المتكلف وخلطه للأمور وعجزه عنها[٢٧٨]:

قَـــدَ عَلِـــمَ الغَرْبِـــيُّ وَالْمُشَـــــرِّقُ أَنَّـــكَ فِي القَـــوْمِ صَمِيْـــمٌ مُلْصَـــقُ
عُـــوْدَاكَ نَبْـــعٌ وَهَشِـــيْمٌ بَـــــرْوَقُ وَأَنْـــتَ جَـــذْبٌ وَرَبِيْـــعٌ مُغْـــدِقُ
وَأَنْـــتَ لَيْـــلٌ وَنَهَـــارٌ مُشْـــــرِقُ لَـــوْلاَ عَجُـــوزٌ قَحْمَـــــةٌ وَدَرْدَقُ
وَصَـــاحِبٌ جَـــمُّ الحَدِيْـــثِ مُونِـــقُ كَيْفَ الفَوَاتُ وَالطُّلُـــوبُ مُـــوِرَقُ
شَـــيْخٌ مَغِيْـــظٌ وَسِـــنَانٌ يَـــــبْرُقُ وَحَنْجَرٌ وَحْـــبٌ وَصَـــوْتٌ مِصْلَـــقُ
وشِدْقُ ضِرْغَـــامٍ وَنَـــابٌ يَحْـــرِقُ وَشَـــاعِرٌ بَـــاقِي الوُسُـــومِ مُفْلِـــقُ

ورفع الصوت لايقلُّ أثرًا سيّئًا عن التقعّر إن لم يتجاوزه، لأنه مَئِنَّةٌ من المشاجرة والمصارعة والسبّ والشتم وعدم احترام السامع، وهي أمور ينفر منها كل ذي طبـــع سليم، وتأباها الفطرة الصافية، على حين أن خفض الصوت مظهـــر لأدب النفـــس، وعنوان على ثقة الإنسان بما يقوله أو يذكره، فهو مطمئن إلى صدق كلامه، ثم هو إلى ذلك دالٌّ على احترام المتكلم للسامع الذي يخاطبه، ومن هنا كان خفض الصـــوت لائقًا بمواقف العبادة كالصلاة والدعاء. يقول جل وعلا: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ

---

[٢٧٧] الترمذي: سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ٧١، حديث رقم ٢٠١٨.

[٢٧٨] الجاحظ، البيان والتبيين، ج٢، ص ١٥٢.

www.mtenback.com

بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً﴾[٢٧٩]. ويقول أيضًا: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾[٢٨٠]. وقد جاء في السنة: «يا أيها الناس اربَعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا إنه معكم إنه سميع قريب تبارك اسمه وتعالى جدّه»[٢٨١].

من أجل ذلك كله كرَّه الله إلينا رفع الصوت والتشدق في الكلام. يروى أن رجلاً تكلم عند النبي فقال له: كم دون لسانك من حجاب ؟ فقال: شفتاي وأسناني، فقال له: «إنَّ الله جلَّ وعزَّ يكره الانبعاق في الكلام فرحم الله امرًا أوجز في كلامه واقتصر على حاجته»[٢٨٢].

وفي تراثنا الأدبي ذمٌّ للتقعّر والتشادق ورفع الصوت، وتصوير ساخر لمن كان هذا شأنه، فمن ذلك قول بعضهم في ذكر الخطباء وذكر أشداقهم وتشادقهم[٢٨٣]:

أَغَرَّكَ مِنِّي أَنَّ مَوْلاَيَ مَزْيَدًا ... سَرِيعٌ إِلَى دَاعِي الطَّعَامِ سَرُوطُ

غُلاَمٌ أَتَاهُ الذِّلُّ مِن نَحْوِ شِدْقِهِ ... لَهُ نَسَبٌ فِي الوَاغِلِينَ بَسِيطُ

لَهُ نَحْوَ دَوْرِ الكَأْسِ إِمَّا دَعَوْتَهُ ... لِسَانٌ كَذَلْقِ الزَّاغِبِيِّ سَلِيطُ

وقد يحدد الموقف الذي يقفه المتكلم قبول التشدق أو رفضه، فلكل مقام مقال. وقد يمدح التشدق إذا كان في مفاق، ومعناه كما قال الشاعر[٢٨٤]:

---

[٢٧٩] سورة الإسراء: ١١٠.

[٢٨٠] سورة الأعراف: ٢٠٥.

[٢٨١] البخاري، صحيح البخاري، ج٣، ص ١٠٩١. رقم (٢٨٣٠).

[٢٨٢] ابن رشيق القيرواني، العمدة، ج١، ص ٢٤١.

[٢٨٣] الجاحظ، البيان والتبيين ٢/٢٨٩.

[٢٨٤] المصدر السابق ٢/٢٩٠.

www.mtenback.com

وَقَدْ كَانَ مَفْتُوقَ اللَّهَـــاةِ وَشَـــاعِرًا وَأَشْدَقَ يَفْرِي حَيْنَ لاَ أَحَدٌ يَفْـــرِي

أما المتكلف فلا يكون إلا سخرية وهزءًا واسمع إلى قول الشاعر في وصفه[٢٨٥]:

يُقَعِّـــرُ القَـــوْلَ لَكِيْمَـــا تَحْسَـــبَهْ مِـــنَ الرِّجَـــالِ الفُصَحَـــاءِ المُعْرِبَـــهْ

وَهْـــوَ إِذَا نَسَـــبْتَهُ مِـــنْ كَرَبَـــهْ مِـــنْ نَخْلَـــةٍ نَابِتَـــةٍ فِـــي خَرِبَـــهْ

ويحكى أن الأصمعي اختلف مع المفضل الضبي في مسألة، فارتفع صوت المفضل فقال له الأصمعي: «تكلم كلامَ النمل وأصِبْ، لو نفخت في شبّور[٢٨٦] يهودي مـــا نفعك شيئًا»

بل إن منهم من كره للخطباء مثل هذا التكلف والاختيـــال، ففضـــل عليـــه السكوت. وفي ذلك يقول[٢٨٧]:

وَإِذَا خَطَبْتَ عَلَى الرِّجَالِ فَلاَ تَكُـــنْ خَطِـــلَ الكَـــلاَمِ تَقُولُـــهُ مُخْتَـــالاَ

وَاعْلَمْ بِأَنَّ مَـــعَ السُّـــكُوتِ لَبَابَـــةً وَمِنَ التَّكَلُّـــمِ مَـــا يَكُـــوْنُ خَبَـــالاَ

ويروى أن أبا بكر المنكور خطبَ فأغربَ في خطبته وتقعّر في كلامه، وعنـــد أصل المنبر رجلٌ من أهل الكوفة يقال له حَنَش، فقال لرجل إلى جنبه : إني لأبغـــض الخطيب يكون فصيحًا بليغًا متقعّرًا،وسمعه أبو بكر المنكور الخطيب، فقـــال لـــه: مـــا أحوجَكَ يا حَنَش إلى مُدَحرج مفتول ليّن الجِلاز لَدْن المَهزّة عظيم الثمرة، تؤخذ به من مَغرِز العنق إلى عَجْبِ الذَّنَب فتُعلى به فتكثر له رقصاتُك من غير جَذل[٢٨٨].

---

[٢٨٥] الجاحظ، البيان والتبيين ٢ /٢٩٥.

[٢٨٦] الشّبور: البوق وهي عبرانية، انظر: ابن منظور، اللسان (شبر).

[٢٨٧] الحموي: ياقوت، معجم الأدباء، دار المستشرق، بيروت، لبنان، ٢٠جزءًا ٨/٢٣٠.

[٢٨٨] ابن عبد ربه: العقد الفريد،ج٢، ص ٤٩٢. المدحرج: المدور، يصف ســـوطًا. الجـــلاز: العقـــب المشدود، طرف الصوت. ثمرة السوط: طرفه (من العقد).

www.mtenback.com

وقال ابن لنكك البصري في مبرمان النحوي المتقعر[٢٨٩]:

صُدَاعٌ من كَلاَمِكَ يَعْتَرِيْنَا ... وَمَا فِيْهِ لِمُسْتَمِعٍ بَيَانُ
مُكَابَرَةٌ ومَخْرَقَةٌ وبُهْتٌ ... لَقَدْ أَبْرَمْتَنَا يَا مَبْرَمَانُ

وقال أبو تمام فيمن يتعاطى الغريب[٢٩٠]:

فَمَالَكَ بِالغَرِيْبِ يَدٌ وَلَكِنْ ... تَعَاطِيْكَ الغَرِيْبَ مِنَ الغَرِيْبِ
أَمَا لَوْ أَنَّ جَهْلَكَ عَادَ عِلْمًا ... إِذًا لَرَسَخْتَ فِي عِلْمِ الغُيُوبِ

وما أجمل ما صنف به شيخُ المعرة الألفاظَ حيثُ يقول:

مِنَ النَّاسِ مَنْ لَفْظُهُ لَؤْلُؤٌ ... يُبَادِرُهُ اللَّقْطُ إِذْ يُلْفَظُ
وَبَعْضُهُمُ قَولُهُ كَالحَصَا ... يُقَالُ فَيُلْغَى وَلاَ يُحْفَظُ

إنّ اللفظ السهل المفهوم أيسر وقعًا، وأحب سمعًا، فهو يدخل إلى القلب دون استئذان،وتتلقّفُه النفس وتعشقه الآذان: «والأذن تعشق قبل العين أحيانًا»[٢٩١].

المراء والجدل:

ومن آفات اللسان التي يجب حفظه منها حُبُّ المراء والجدل وهو خلق ذميم يستبدُّ ببعض النفوس التي أغريت بالمغالبة وأوتيت حظًّا من القدرة على الكلام، وفضلاً من البيان والفصاحة، وبسطةً في اللسان، وشهوةً للظهور والتفوق. مما يجعل حبَّ الانتصار عندها أهمَّ من إظهار الحق، ونشوةَ التفوق عندها أهمَّ من النزاهة في البحث.

---

[٢٨٩] ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج١٩،ص١٠.

[٢٩٠] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص ٤٩٢.

[٢٩١] من بيت لبشار بن برد وصدره: ياقوم أذني لبعض الحيِّ عاشقةٌ. انظر الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين: الأغاني، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، مصور عن طبعة دار الكتب، ج٣، ص١٦٥.

www.mtenback.com

وقد عرّف الغزالي المراء بأنه طعن في كلام الغير بإظهار خَلَل فيه من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير وإظهار مزية الكياسة[٢٩٢]. وحسب هذا أن يُسبب من العداوة والبغضاء مايسببه، وأن يشيع في المجتمع جوًّا من الكراهية والنفور يسري بين أبنائه. قال عبد الرحمن بن أبي ليلى: «لاتُمارِ أخاكَ، فإمّا أن تُغضِبَه وإمّا أن تَكذِبَه»[٢٩٣] وقال الشاعر[٢٩٤]:

فَإِيَّاكَ إِيَّاكَ المِرَاءَ فَإِنَّهُ إِلَى السَّبِّ دَعَّاءٌ وَلِلصَّرْمِ جَالِبُ

فعن المراء تنجم الخصومة، وعن الخصومة ينجم السبّ والشتم، وعنهما تتولد الكراهية، وعن الكراهية يتأتى الحقد والغل والضغينة وهي أعلى درجات القطيعة.

وأخطر ما في الجدل والمراء أنه يفرق الإخوة المتحابين، والأصدقاء المتلازمين ويفسد فيما بينهم. قال سفيان: «لو خالفت أخي في رمانة فقال حلوة وقلت حامضة لسعى بي إلى السلطان»[٢٩٥]. وقال أيضًا: «صاف من شئت ثم أغضبْه بالمراء فلَيَرْمِيَنَّكَ بداهية تمنعُك من العيش»[٢٩٦]. وقال ابن المقفع: «المشاراة والمماراة يفسدان الصداقة القديمة، ويَحُلاّن العقدة الوثيقة، وأيسر ما فيهما أنهما ذريعةٌ إلى المنافسة والمغالبة»[٢٩٧]. وماقيل في المراء والجدل يصدقه في الخصومة، بل إن الخصومة أشدُّ ضراوةً، وهي مبدأ كل شرّ، لأنها توغر الصدر وتهيج الغضب، وإذا هاج الغضب نُسي المتنازعُ فيه، وبقي الحقد بين المتخاصمين حتى يفرح كل واحد بمساءة صاحبه، ويحزن بمسرته ويطلق اللسان في عرضه[٢٩٨].

---

[٢٩٢] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج٣، ص١١٨.

[٢٩٣] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٣، ص٥.

[٢٩٤] المصدر السابق، ج٣، ص٦.

[٢٩٥] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج٣، ص١١٧.

[٢٩٦] المصدر السابق، ج٣، ص١١٧.

[٢٩٧] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٣، ص٥.

[٢٩٨] الغزالي: إحياء علوم الدين ١١٩/٣.

www.mtenback.com

وإذا اعتاد المرء الجدل أصبح له خلقًا وديدنا، وهدفًا يسعى إليه ليحقق ذاته، ويبلغ نشوته في إظهار انتصاره وتفوقه على الآخرين، وهو كلما أمعن في جدله واستمرأه اكتسب من المهارة ما يغريه بالمزيد، فهو لا يقف ببسطة لسانه عند حدٍّ، إنه يريد الكلام فحسب، يريد أن يباهي به ويستطيل، فتأتي الألفاظ في المرتبة الأولى، والمعاني في المرتبة الثانية، أما الغرض النبيل فربما كان له موضع آخر، وربما عزَّ له موضع وسط هذا الصخب[٢٩٩].

والجدال في الدين، والجدال في السياسة، والجدال في العلوم والآداب، عندما يتصدى له هذا النفر من الأدعياء يفسد به الدين، وتفسد السياسة والعلوم والآداب. ولعل السبب في الانهيار العمراني والتحزُّب الفقهي، والانقسام الطائفي، وغير ذلك مما أصاب الأمة العربية الإسلامية هو هذا الجدل في حقائق الدين وشؤون الحياة[٣٠٠].

ولذلك كان هذا النوع من الناس أبغض الرجال: «إن أبغض الرجال إلى الله الألَدُّ الخَصِم»[٣٠١]. وقد وصفه الله سبحانه بأمرٍّ الوصف وتوعّده بأشدِّ العذاب: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ. وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ. وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾[٣٠٢].

بل إنه عزّ وعلا وصف أعتى المشركين من كفار قريش بالجدل والخصومة فقال: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ. وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا

---

[٢٩٩] الغزالي، محمد: خلق المسلم،دار الكتب الحديثة بمصر، ط٧ (١٣٨٤هـ/١٩٦٤م) ص ٩٩.

[٣٠٠] المصدر السابق نفسه.

[٣٠١] رواه البخاري من حديث عائشة، انظر صحيح البخاري، ج٢، ص ٨٦٧، رقم (٢٣٢٥).

[٣٠٢] سورة البقرة: ٢٠٤-٢٠٦.

www.mtenback.com

ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾[٣٠٣]. والمجادلة لا تثمر ولا تأتي بخير أبدًا، إنما هي حرمان من العمل وضلال بعد هدى، وفي ذلك جاء: «ما ضلَّ قوم بعد هدي كانوا عليه إلا أوتوا الجدل»[٣٠٤] ومن ثمّ كان المجادل عرضة لسخط الله وغضبه: «من جادل في خصومةٍ بغير علمٍ لم يزل في سخط الله حتى يَنْزِع»[٣٠٥] وحال الخصومة، جاء فيها: «كفى بكَ إثمًا أن لا تزال مخاصمًا»[٣٠٦].

لاشك أن علاج كل مشكلة يبدأ بإماطة سببها. ولما كان الباعث على المراء والجدال والخصومة إنما هو الكبر والاغترار بالمقدرة والتفوق على الآخرين، كان العلاج الأول لهذه الآفة الخبيثة أن يطامن المرء من غروره، وأن يحدَّ من تكبره. فالكبرياء لله وحده، والله سبحانه يقول في الحديث القدسي: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني فيهما قصمتُه»[٣٠٧]. والغرور من شرور النفس التي تقضي على صاحبها ما لم يتدارك أمره ويستجب لنداء العقل والإيمان فيتواضع لخلق الله، ويحافظ على ما أنعم الله به عليه بالشكر له والحمد، لتدوم النعمة ولا تنقلبَ إلى نقمة.

إن مدافعة هذه الأخلاق الفاسدة المفسدة قمينة بنبذ المراء والجدل، واجتناب الخصومة واللدد. وليس أمر هذه المدافعة بالأمر الصعب أو المستحيل، فقد جاء: «إنما العلم بالتعلّم، وإنما الحلم بالتحلّم، ومن يتوخَّ الخير يُعطَه، ومن يتوقَّ الشر يوقَه». وقال ابن قتيبة: «مرَّ بي بشرُ بن عبدالله بن أبي بكرة فقال: ما يجلسكَ ههنا ؟ قلت:

---

[٣٠٣] سورة الزخرف: ٥٧-٥٨.

[٣٠٤] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج٣، ص ١١٦.

[٣٠٥] الذهبي، محمد بن أحمد: كتاب الكبائر وتبيين المحارم، تحقيق محيي الدين مستو، دمشق، بيروت، دار ابن كثير، ط٣ (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ص ١٥٩.

[٣٠٦] رواه الترمذي من حديث ابن عباس، رقم (١٩١٧).

[٣٠٧] أخرجه الحاكم في المستدرك، انظر الغزالي: إحياء علوم الدين، ج٣، ص ٣٣٦.

www.mtenback.com

خصومة بيني وبين ابن عمٍ لي. فقال: إن لأبيك عندي يدًا، وإني أريد أن أجزيكَ بها، وإني والله ما رأيت شيئًا أذهب للدين ولا أنقص للمروءة ولا أضيع للذة ولا أشغل للقلب من الخصومة!».

قال فقمت لأنصرف فقال لي خصمي: مالكَ؟ قلت: لا أخاصمك. قال: إنك عرفت أن الحق لي، قلت: لا ولكن أُكرم نفسي عن هذا. قال: فإني لا أطلب منك شيئًا هو لك[٣٠٨].

وكان العرب يتناصحون بنبذ المراء والجدل، يقول مسعر بن كدام لابنه[٣٠٩]:

إِنِّي نَصَحْتُكَ يَا كُدَامُ نَصِيْحَتِي ... فَاسْمَعْ مَقَالَ أَبٍ عَلَيْكَ شَفِيْقِ

أَمَّا الْمُزَاحَةُ وَالْمِرَاءُ فَدَعْهُمَا ... خُلُقَانِ لاَ أَرْضَاهُمَا لِصَدِيْقِ

إِنِّي بَلَوْتُهُمَا فَلَمْ أَحْمَدْهُمَا ... لِمُجَاوِرٍ جَارٍ وَلاَ لِرَفِيْقِ

بل لقد حضت القيم العربية على ترك المراء والجدل، وإن كان صاحبهما محقًّا. فجاء في الحديث الشريف: «من ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنّة ومن تركه وهو محقٌّ بني له في وسطها، ومن حَسُن خُلُقُهُ بُني له في أعلاها»[٣١٠].

ومن سبل اجتناب المراء والجدل والخصومة اجتنابُ أصحابها المولعين بها، فثمّة أناس تغلب على طبعهم هذه الخلال، وهي لا تحقّق لهم إلا بمجاراة نظرائهم من هُواة ذلك، فإذا ما اعتزلوا سُدَّ عليهم طريق المراء وأسقط في أيديهم، ونجا المرء من السقوط في حبائلهم والتردّي في مكائدهم. وسئل حكيم: «لم آثرت الانزواء ؟ قال: لأجاهد

---

[٣٠٨] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج٣،ص١١٩.

[٣٠٩] الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، حوادث ووفيات (١٤١-١٦٠هـ) تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب اللبناني، بيروت،ط٢ (١٩٨٩م) ص٦١٧.

[٣١٠] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج٣،ص ١١٦.

www.mtenback.com

نفسي بترك الجدال، فقال: احضر المجالس واسمع ما يقال ولا تتكلّم، قال:ففعلت ذلك فما رأيت مجاهدة أشدَّ علي منها»[٣١١].

ولله درّ القائل[٣١٢]:

إِذَا كُنْتَ ذَا عِلْمٍ وَمَـــارَاكَ جَـاهِلٌ فَأَعرِضْ فَفِي تَرْكِ الجَوَابِ جَـــوَابُ

وَإِنْ لَمْ تُصِبْ فِي القَوْلِ فَاسْكُتْ فَإِنَّمَا سُكُوتُكَ عن غَيْرِ الصَّـــوابِ صَـــوَابُ

ومن هذا القبيل قول صاحب العمدة[٣١٣]:

وَأَخْـــرَقَ أَكَّـــالٍ لِلَحْـــمِ صَدِيْقِـــهِ وَلَيْـــسَ لِجَـــارِي رِيْقِـــهِ بِمُسِـــيْغِ

سَكَتُّ لَهُ ضَنًّا بِعِرْضِي فَلَـــمْ أُجِـــبْ وَرُبَّ جَوَابٍ فِي السُّـــكُوتِ بَلِيْـــغِ

الملق: الود واللطف الشديد وأصلـــه التليـــين أي التـــودد والتلطـــف، قـــال الشاعر[٣١٤]:

ثَلاَثَـــةُ أَحْبَـــابٍ، فَحُـــبٌّ عَلاقَـــةٍ وَحُبٌّ تِمِلاَّقٍ، وَحُبٌّ هُـــوَ الْقَتْـــلُ

التملق والنفاق:

والتملق خلق مذموم، وهو ما يجب أن يحفظ اللسان منه، فلا يسرف فيه حتـــى لا يتعوّد هذا النوع من الكلام الذي فيه رقة وضعف وتذلل فخلق العرب ينافي هـــذا السلوك المذموم في ثقافتهم، والبعيد عن عاداتهم وأخلاقهم.

ويتبدى هذا الخلق المذموم في أكثر من صورة وفي أكثر من معنى، وشَرُّ النـــاس من يستعمل لسانه لموافقة كل الناس، لا سيما إذا لقي متعادِيَيْنِ فيُظهر أنه يوافق كـــلاً منهما، فهو بلا موقف، وليست له صفة، وإنما يتلون في كل مناسبة بلونها، ويتغـــير في

---

[٣١١] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج٣،ص١١٨.

[٣١٢] الميداني، مجمع الأمثال، ج٢،ص ٢٦٦.

[٣١٣] ابن رشيق القيرواني، العمدة، ج١، ص ٢٤٣.

[٣١٤] ابن منظور، اللسان، (ملق).

www.mtenback.com

كل مجلس بما يراه مناسبًا لذلك المجلس. وهذا يحمله على المبالغة في المدح حتى يصل إلى الكذب فيه، أو يقول فيه ما لا يحققه في صاحبه وعن الموقف الذي يقود اللسان إلى الكذب يجب حفظ اللسان والحجر عليه.

المدّاح: وهو الذي يفرط في المدح فينتهي به إلى الكذب، أو يقول فيه ما لا يحققه في صاحبه أي في الممدوح ولا سبيل له إلى الاطلاع عليه. وقد جعل رسول الله ﷺ ذلك بمنزلة قطع العنق حيث قال لمن أفرط في المدح: «ويلَكَ قطعتَ عُنُقَ صاحبك، قطعت عنق صاحبك، مرارًا» ثم رسم حدودًا للمدح المباح فقال: «مَنْ كان منكم مادحًا أخاه لا محالة فليقلْ:أحسِب فلانًا والله حسيبُه ولا أزكّي على الله أحدًا أحسبه كذا وكذا إن كان يعلم ذلك منه»[٣١٥]. وجاء رجل فأثنى على عثمان رضي الله عنه في وجهه، فأخذ المقداد بن الأسود ترابًا فحثا في وجهه وقال: قال رسول الله ﷺ: «إذا لقيتم المدّاحين فاحثوا في وجوههم التراب»[٣١٦].

المنافق: وهو الذي يُظهِر غيرَ ما يُبطن، ويُبدي غيرَ ما يُسِرُّ. وفيه يقول ﷺ: «أخوف ما أخاف على أمتي سحلٌ منافق عليم اللسان»[٣١٧]. ويقول الله في معرض ذمّ هذا الصنف من النّاس: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾[٣١٨]. وسمى القرآن هذه الحالة بالمداهنة فقال في وصف الكافرين المكذبين: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾[٣١٩].

ومما يجب حفظ اللسان منه النفاقُ والتملّق اللذان يخلفان أسوأ الأثر في الفرد والمجتمع، ويبدأ أثرهما السّيئ في صاحبهما، إذ يفقد المصداقيّة بين أصحابه وذويه، مما

---

[٣١٥] رواه البخاري من حديث عبدالرحمن بن أبي بكرة عن أبيه. صحيح البخاري ج٢، ص٩٤٦، رقم (٢٥١٩). ورواه بلفظ: ويحك، ج٤، ص٢٢٩٦ رقم (٣٠٠٠).

[٣١٦] رواه مسلم من حديث المقداد، ج٤، ص٢٢٩٧، رقم (٣٠٠٢).

[٣١٧] ابن أبي الدنيا: الصمت وآفات اللسان،ص ١٠٩.

[٣١٨] سورة الفتح: ١١.

[٣١٩] سورة القلم: ٩.

www.mtenback.com

يؤدي إلى نبذه واعتزال مجالسته ومصاحبته، وإذا كان من النوع المدّاح فإن الإطـــراء في المدح يقوده إلى الرياء والنفاق، لأنه بالمدح مُظهِرُ كِبْرًا قد لا يكون مضمرًا لـــه، ولا معتقدًا بجميع ما يقوله. وهو مهما حرص على إخفاء حقيقة أمره، وتزيـــين أقوالـــه، وتنميق عباراته لابد أن يفضح في يوم من الأيام كما قال زهير[٣٢٠]:

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِـــنْ خَلِيْقَـــةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّـــاسِ تُعلَـــمِ

ويتعدى هذا الأثر السيئ المادحَ إلى الممدوح فيضّر به من جهتين، أولاهما: أنه يحدث فيه كبرًا وإعجابًا وهما مهلكان. وثانيتهما: أنه إذا أثنى عليه بالخير فرح به وفتر ورضي عن نفسه وامتلأ إعجابًا بها، ومن أعجب بنفسه قل اهتمامه للعمل، وإنما الذي يعمل الذي يرى نفسه مقصرًا[٣٢١].

من أجل ذلك كله كان جزاء المنافق والمتملق والمدّاح عسيرًا إذ يرفض المستمع لمدحه وسلوكه وينتقده ويحتقره وإن سكت عنه.

وقيل لابن عمر رضي الله عنهما: إنا ندخل على أمرائنا فنقـــول القـــول فـــإذا خرجنا قلنا غيره، فقال: كنا نعدُّ هذا نفاقًا على عهد رسول الله ﷺ[٣٢٢]. فإذا كـــان هذا الضرب من السلوك نفاقًا، وهو في كثير من الأحيان لا يخلو من اتقاء شر أو دفـــع مكروه أو جلب مصلحة عامة، فما بالك بمن ينافق ابتداءً دون أدنى وجه من وجـــوه المصلحة الشرعية ؟! لقد عدَّ الإمام الغزالي الثناءَ على من لا يستحقه كذبًا صُراحًـــا، وهو لا يجوز إلا لضرورة أو إكراه يباح الكذب بمثله. ثم قال: «بل لا يجوز الثنـــاء ولا التصديق ولا تحريك الرأس في معرض التقرير على كل كلام باطل، فإن فعل ذلك فهو منافق، بل ينبغي أن ينكر فإن لم يقدر فيسكت بلسانه وينكر بقلبه»[٣٢٣].

---

[٣٢٠] زهير بن أبي سلمى، ديوانه، ص ٣٤.

[٣٢١] الغزالي: الإحياء، ج٣، ص ١٦٠.

[٣٢٢] المصدر السابق، ص ١٥٩.

[٣٢٣] المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

خير سبيل لاجتناب هذه الآفة وغيرها من آفات اللسان هو التزام الصمت. على أن لكل آفة أسبابها ودوافعها، ويكون العلاج بإزالة هذه الأسباب والدوافع، فإذا علمنا أن دوافع التملق والنفاق تشبه دوافع الكذب، وعلى رأسها الطمع والفزع، جاز لنا أن نقول هنا إن خير ما يدفع هذا الخلق الذميم هو تمام التيقّن من أن كلّ كائن مقدّر، وأن ما قُدِّر لابد كائن، وأن النافعَ والضارّ هو الله وحده «واعلم أن الأمة لو اجتمعت أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك»[٣٢٤].

وتبقى من دون ذلك سبلٌ يمكن أن تحدَّ من هذه الخلّة نذكر منها:

التحفّظ في المدح وعدم مدح الرجل إلا بما فيه، ولا يكون ذلك إلا عن دراية تامة به وخبرة وطول معاشرة. سمع عمر رضي الله عنه رجلاً يثني على رجل فقال: أسافرت معه ؟، قال: لا، قال:أخالطته في المبايعة والمعاملة؟، قال: لا، قال: فأنت جاره صباحه و مساءه؟ قال:لا، فقال: لا أراك تعرفه[٣٢٥]. وقد جاء في الأمثال العربية: «لا تُحمَدُ أَمَةٌ عامَ اشترائها ولا حُرَّةٌ عام بنائها»، وقال الشاعر[٣٢٦]:

لاَ تَحْمَدَنَّ امْرًا حَتَّى تُجرِّبَهُ ... وَلاَ تَذُمَّنَّهُ مِن غَيْرِ تَجْرِيْبِ

فَإِنَّ حَمْدَكَ مَنْ لَمْ تَبْلُهُ صَلَفٌ ... وَإِنَّ ذَمَّكَ بَعْدَ الحَمْدِ تَكْذِيْبُ

وليعلم المادح أن المبالغة في المدح والغلوّ في الثناء مَئِنَّةٌ من الكذب، وأن الشيء إذا تجاوز حدّه انقلب إلى ضدّه، فكثيراً ما يكون المدح أشبه بالذم، والثناء أشبه بالهجاء، لما فيهما من المبالغة والتطويل. وقد صدق الشاعر إذ يقول:

---

[٣٢٤] رواه الترمذي من حديث ابن عباس (رقم ٢٤٤٠)

[٣٢٥] الغزالي:الإحياء،ج٣،ص ١٦٠.

[٣٢٦] الميداني، مجمع الأمثال،ج٢، ص٢١٣. وفي البيت الثاني إقواء.

www.mtenback.com

وَإِذَا امْرُؤٌ مَـــدَحَ امْـــرًا مُتَكَلِّفًـــا وَأَطَالَ فِيْهِ فَقَـــدْ أَطَـــالَ هِجَـــاءَهُ
لَوْ لَمْ يُقَـــدِّرْ فِيْـــهِ بُعْـــدَ الْمُسْـــتَقَى عِنْدَ الْوُرُوْدِ لَمَـــا أَطَـــالَ رِشَـــاءَهُ

والاحتراز عن الكبر والغرور والفتور:

وهذا موجه إلى الممدوح لا إلى المادح. فالممدوح أدرى بنفسه، وينبغي عليه أن يكفكف من غُلَوائه، وعليه أيضًا أن يكون في نفسه على أشدّ الحذر من الانجراف نحـــو العجب والغرور. وما أجمل ما كان يقوله عليٌّ كرم الله وجهه حين يسمع المدح والثناء يقال له: «اللهم لا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني أفضل مما يظنون، واغفر لي مـــا لا يعلمون»[٣٢٧]. وقد قال مرة لرجل بالغ في الثناء عليه تملّقًا ونفاقًا: «أنا دون ما قلـــتَ وفوق ما في نفسك».

وكي لا يظن القارئ أن هذه الأخلاق الحميدة مقصورة على أسلافنا القدامى، فإننا نسوق إليه كلامًا صدر عن شيخ جليل من شيوخ عصرنا، وأديب عظيـــم مـــن أدبائه، وهو الأستاذ العلامة محمود محمد شاكر رحمه الله. قاله في معـــرض ردّه علـــى مدحٍ وثناء خصَّ به: «ولكني أحاكم نفسي إلى نفوس آبـــائي وأســـلافي، فـــأجدني كالزائدة التي لا نفع فيها ولا خير. وإذا كنت جئت في زمانٍ خلا مما يزينه، فإنما مثلي مثل حارثةَ ابن بدر الغُداني، وقد اجتاز بمجلسٍ من مجالس قومه بني تميم، ومعه مـــولاه كعب، فكلما اجتاز بقوم قاموا إليه وقالوا: مرحبًا بسيّدنا! فلما ولى قال لـــه مـــولاه كعب: ما سمعت كلامًا قطُّ أقرَّ لعيني ولا ألذّ لسمعي من هذا الكلام الـــذي سمعتـــه اليوم! فقال له حارثة : لكني لم أسمع كلامًا قط أكره لنفسي وأبغض إليّ ممـــا سمعتـــه، قال: و لِمَ؟ قال: ويحك يا كعب إنما سوّدني قومي حين ذهبَ خيارهم وأماثلهم فاحفظ عني هذا البيت[٣٢٨]:

---

[٣٢٧] الشريف الرضي: نهج البلاغة، ص ٢٢٦. وانظر أيضًا ص٤٢٣.

[٣٢٨] شاكر،محمود محمد: أباطيل وأسمار، القاهرة مكتبة الخانجي، ص ٤٩٥.

www.mtenback.com

خَلَتِ الدِّيارُ فَسُدْتُ غَيْرَ مُسَوَّدٍ وَمِنَ الشَّقَاءِ تَفَرُّدِي بِالسُّؤْدَدِ

اعتزال من شأنه التملق والنفاق:

وفي هذا الاعتزال كفٌّ لهم عن غَيِّهم، وإشاحةٌ قد تردهم إلى رشدهم، فالمتملق الذي لايجد أذنًا صاغية تطرب لتملّقه، وتزهو بنفاقه، وتنتفخ بمديحه، لا يلبث أن يرعوي عن غيّه ويكفكف من غلوائه، وينكص على رأسه. والمرء لابد أن يجد بين إخوانه وأصحابه من يصدقه الحديث،ويخلص له الودّ، و يمحضه النصح، وفي مصاحبة هؤلاء مندوحة له عن التردي إلى مصاحبة أولئك الكذابين. وقديمًا قالت الحكماء: «الإخوانُ ثلاثةٌ، فأخٌ يُخْلِصُ لك وُدَّهُ، وَيَبْذُلُ لك رِفْدَهُ، ويستفرِغُ في مُهِمِّكَ جُهْدَه، وأخٌ ذو نيَّة، يقتصر بك على حسن نيَّته دونَ رِفده ومعونته، وأخٌ يتملّق لك بلسانه ويتشاغلُ عنك بشانه، ويوسِعُك من كذِبه وأَيْمانه»[٣٢٩].

السخرية:

ومن آفات اللسان التي يجب حفظه منها السخرية والهزء، والمزح الذي يخرج عن المألوف، وهو لا يعد آفة من آفات اللسان إلا إذا أفرط فيه المازح وداوم عليه، لأنه يقود إلى كثرة الضحك، وما يقلل من احترام الإنسان لنفسه أو لجليسه، وقد يجر المزح إلى سوء الأدب مع الآخرين.

أما السخرية والاستهزاء فلا ريب في خطرهما وأثرهما السيّئ، ولاسيما في نفس المستهزأ به أو المسخور منه! وماذا يُنتظَر من إنسان استُهزِئ به إلا النفور والكراهية والبغض الذي قد يؤدي إلى حقدٍ وغلٍّ وضغينة؟!

وقد ينتقم المسخور به لنفسه فيحدث الشرّ الذي لا يجب أن يحدث بين الناس. فالمرء يجب أن يتّقي ما يسيء إلى الآخرين، ويرعى شعورهم ويحافظ على ودّهم، ولا يؤذي جليسه أو محدثه أو من تربطه به رابطة عمل، أو يجمعه به مجلس. والسخرية

---

[٣٢٩] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص٢٩٤

www.mtenback.com

والمزاح قرينان، إلا أن المزاح أكثر تكرارًا بين الأصدقاء لرفع الكلفة بينهم، لكن المازح يتعرض لخطر النقد والبغضاء لأنه يَصِمُ المازح، ويُضيم الممازح،فوصمة المازح أن يذهب عنه الهيبة والبهاء، ويُجَرِّئ عليه الغوغاء والسفهاء ويورث الغلُّ في قلوب الأكابر والنبهاء[٣٣٠]. ولذلك قيل في منثور الحكم: «المُزاح يأكل الهيبة كما تأكل النار الحطب»[٣٣١]. وقال عمر للأحنف: «من كثر ضحكه قلت هيبته،ومن أكثر من شيء عُرف به، ومن كثر مزاحه كثر سَقطهُ، ومن كثر سقطه قل ورعُه، ومن قلَّ ورعه ذهب حياؤه، ومن ذهب حياؤه مات قلبه»[٣٣٢].

وأما إضامة الممازح فلأنّه إذا قوبل بفعل ممضٍّ أو قول مستكرَه وسكت عليه أحزن قلبه وأشغل فكره، وربما أورثه بغضًا وحقدًا لا يزول، وأتبعه انتقامًا وشرًا لا ينتهي[٣٣٣].

وقال عمر بن عبدالعزيز: «اتقوا المُزاح فإنها حَمْقَةٌ تورث ضغينة»[٣٣٤] وقال بعضُ الحكماء: «إنما المُزاح سبابٌ، إلا أن صاحبه يضحك»[٣٣٥].

من أجل ذلك كله حُرِّم هذا الضرب من المزاح بقوله ﷺ: «لا تمارِ أخاكَ ولا تمازحْهُ»[٣٣٦]. وكان جزاء مرتكبه عظيمًا لا يقل عن جزاء مرتكب الكبائر إن كان

---

(٣٣٠) الغزي، أبو البركات محمد بن محمد، المراح في المزاح، بعناية بسام عبدالوهاب الجابي، الجفان والجابي ودار ابن حزم، بيروت، ط١ (١٤١٨هـ/١٩٩٧م) ص٣٦.

(٣٣١) الغزي، المراح في المزاح، ص ٣٧.

(٣٣٢) الجاحظ، البيان والتبيين،ج٢،ص ١٨٨.

(٣٣٣) المصدر السابق، ج٢، ص٧٩.

(٣٣٤) الماوردي: أدب الدنيا والدين،ص ٣١٠. والغزي، المراح في المزاح، ص٣٧.

(٣٣٥) المصدر السابق نفسه.

(٣٣٦) رواه الترمذي من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنه،انظر الترمذي، الجامع الصحيح، تحقيق: أحمد شاكر وإبراهيم عوض، بيروت دار إحياء التراث العربي، ٥ أجزاء،ج٤، ص٣٥٩ (رقم ١٩٩٥).

www.mtenback.com

مزحه مما يؤدّي إلى ما ذكرنا من المفاسد والنتائج الخطيرة. وفي ذلك جاء في الحديث: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يلقى لها بالاً، يهوي بها في جهنم»[٣٣٧].

وليس كل المزاح حرامًا، فقد تقدّمت الإشارة إلاّ أن الإفراط فيه والإكثار منه هو المنهي عنه، أما القدر الذي يشيع السرور ويروّح القلوب وينفي عنها السآمة والملل، وينشطها على العمل، ويخلق جوًّا من الألفة والمحبة، فهو مندوبٌ إليه مطلوب لذاته، لاسيّما بين الإخوان، والأصدقاء والخلاّن. قال أبو نواس[٣٣٨]:

أُرَوِّحُ القَلْبَ بَعْضِ الهَزْلِ ... تَجَاهُلاً مِنِّي بِغَيْرِ جَهْلِ

أَمْزَحُ فِيهِ مَزْحَ أَهْلِ الفَضْلِ ... وَالمَزْحُ أَحْيَانًا جَلاَءُ العَقْلِ

وقديمًا مدح الشعراء الرجل الذي يخلط جدّه بشيء من الفكاهة واللعب. فقال أبو تمام[٣٣٩]:

الجِدُّ شِيمَتُهُ وَفِيهِ فُكَاهَةٌ ... طَوْرًا وَلاَ جِدٌّ لِمَنْ لَمْ يَلْعَبِ

وقال الأبيرد[٣٤٠]:

إِذَا جَدَّ عِنْدَ الجِدِّ أَرْضَاكَ جِدُّهُ ... وَذُو بَاطِلٍ إِنْ شِئْتَ أَلْهَاكَ بَاطِلُهْ

ومما ورد من المزاح المباح ما ذكر عن صهيب حين رآه النبي يأكل تمرًا وهو أرمد فقال: «أيا صُهيب! تأكل التمر على علة عينيك؟!» فقال: إنما آكل من الشّق الصحيح فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذُهُ[٣٤١]. ومزح الرسول مع امرأة

---

[٣٣٧] رواه البخاري، صحيح البخاري،باب حفظ اللسان (رقم ٦١١٢-٦١١٣).

[٣٣٨] الغزي، المراح في المزاح،ص٤٠.

[٣٣٩] المصدر السابق، ص٤١.

[٣٤٠] المصدر السابق، ص٤٠.

[٣٤١] رواه ابن ماجة (رقم ٣٤٤٣).

www.mtenback.com

عجوز سألته أن يدعو لها بالمغفرة، فقال لها: «أما علمت أن الجنّة لا يدخلها العجائز» فبكت، فتبسم رسول الله ﷺ وقال لها: لست يومئذٍ بعجوز، أما قرأت قول الله تعالى: ﴿إنا أنشأناهنَّ إنشاءً. فجعلناهن أبكارًا. عُرُبًا أترابًا﴾[٣٤٢].

ونظر عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أعرابي يصلي صلاة خفيفة، فلما قضاها، قال: اللهم زوجني بالحور العين، فقال عمر: أسأت النقد وأعظمتَ الخِطبةَ[٣٤٣]. ومن الدعابة الخفيفة العذبة ما يستجلبه السائل أو المتحدث دون تكلف. ومن ذلك أنه جاء رجل إلى أبي حنيفة فقال له: إذا نزعت ثيابي ودخلت النهر أغتسل، فإلى القبلة أتوجّه أم إلى غيرها؟ فقال له: الأفضل أن يكون وجهك إلى جهة ثيابك لئلا تسرق[٣٤٤].

وسأل رجل الشعبي عن المسح على اللحية، فقال: خللها بأصابعك، فقال: أخاف ألاّ تبلّها، فقال الشعبي: إن خفت فانقعها من أول الليل[٣٤٥].

وروى أن خياطًا مرّ بالشعبي، وهو مع امرأة في المسجد، فقال: أيُكما الشعبي؟ فقال مشيرًا إليها: هذه![٣٤٦].

ومن مستحسن المزح ومستسمح الدُّعابة ما حكي عن الكندي، أن القشيري وقف عليه شيخ من الأعراب، فقال يا أعرابي: ممنَ أنت. فقال: من بني عُقَيْل، قال: من أيّ عقيل؟ قال: من بني خفاجة. فقال القشيري:

رأيتُ شيخًا من بني خَفَاجهْ

---

[٣٤٢] رواه الترمذي في الشمائل (رقم ٢٤١). والآيات من سورة الواقعة: ٣٥-٣٧.

[٣٤٣] الغزي،المراح في المزاح،ص ٦٠.

[٣٤٤] المصدر السابق، ص ٨٩.

[٣٤٥] المصدر السابق، ص ٨٥.

[٣٤٦] المصدر السابق، ص ٨٦.

www.mtenback.com

فقال الأعرابي: ما شأنه؟ فقال:

له إذا جَنَّ الظَّلامُ حَاجةْ

فقال الأعرابي: ماهي ؟ قال:

كحاَجة الديك إلى الدَّجَاجَهْ

فاستغرب الأعرابي، وقال: قاتلك الله ماأعرفكَ بسرائر القوم[٣٤٧].

والمزح يجلو صدى القلوب إذا عرف موضعه، وقلل منه، وكذلك الدعابة ممن يحسنها ويعرف مواطنها.

ينطبق على هذه الآفة ما ينطبق على كثير من آفات اللسان، فالسبيل الأمثل إلى اجتناب سوئها وضررها هو التحكم باللسان، والتبصر بعواقب ما يقوله الإنسان، وإعمال الفكر والعقل قبل الانخراط فيما لا تحمد عقباه. ولا ريب إن مما يساعد على ذلك ويضمن الجدَّ من المزح والإقلاع عن السخرية والاستهزاء أن يشغل المرء نفسه بعزائم الأمور وجلائل الأعمال قال أبو الطيب المتنبي[٣٤٨]:

عَلى قَدْرِ أَهْلِ العزمِ تَأتي العَزَائِمُ وَتَأتْي عَلى قَدْرِ الكِرَامِ المَكَارِمُ

وماأجمل ماقال في ذلك أبو الفتح البستي[٣٤٩]:

أَفِدْ طَبْعَكَ المَكْدُودَ بِالجدِّ رَاحَةً يَجِمُّ وَعَلِّلْهُ بِشَيءٍ مِن المَزحِ

وَلَكِنْ إِذا أَعْطَيْتَهُ المَزْحَ فَليَكُنْ بِمِقْدَارِ مَا تُعْطِي الطَّعَامَ مِن المِلْحِ

ولا يكون ذلك إلا بين الأصفياء والأصدقاء الذين يأمن بعضهم بعضًا ويحسن كل منهم الظن بصاحبه. فإذا جاء المزح والدعابة تقبلها الجميع بصدر رحب، ولا يتكدر منها أحد، ولا يسيء الفهم فيما وراء المزح أو ما يفهم من الدعابة.

---

[٣٤٧] الماوردي: آداب الدنيا والدين، ص ٣١٢ -٣١٣. الغزي، المراح في المزاح، ص ٩٢.

[٣٤٨] المتنبي: ديوانه، ج ٣، ص ٣٧٨.

[٣٤٩] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص٣١١، والغزي المراح في المزاح٤٠.

www.mtenback.com

إذا أراد المرء اجتناب آفات اللسان: فعليه اختيار جميل القول وانتقاء الكلمات، ومعرفة الناس الذين يجالسونه، ليكون ما يصدر عنه موافقًا للحال وصحيح المقال، نازعًا إلى الخير، مخالفًا للشّر، محكومًا بسلطان العقل. ولا ريب أن تمام هذه الأحكام يتحقق بما يحققه الكلام من مصالح. وإشغال اللسان بالفضائل والمحاسن، وعناصر الخلق العظيم، ومعالم السلوك الطيب. فللسان محاسن كثيرة وفضائل عظيمة، إذا هو تمسك بها وكَفّ عن تلك الآفات التي مرّ ذكرها، ساعده ذلك على تجنبها، والسلامة منها، فاللسان مضغةٌ إن لم تشغلْها شغلتك، فإن أنت شغلتها بالخير كفّتْ عن الشر، وإن شغلتها بالفضائل كفّت عن الرذائل.

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

الفهارس

موقع الدكتور مصطفى بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الآيات القرآنية

السورة	الآيـــة	رقمها	الصفحة
البقرة	﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ... الآية﴾	١٨٧	٢١
	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ... الآية﴾	٢٠٤	٧١
	﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ... الآية﴾	٢٢٢	٢٢
	﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ.... الآية﴾	٢٢٣	٢١
آل عمران	﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ... الآية﴾	٦١	٣٣
النساء	﴿وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ... الآية﴾	٢١	٢١
	﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ... الآية﴾	٣٤	٢١
	﴿لامَسْتُمُ النِّسَاءَ... الآية﴾	٤٣	٢١
	﴿فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا... الآية﴾	١٤٠	٥٧
المائدة	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ... الآية﴾	١٠١	٥٨
الأنعام	﴿وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ... الآية﴾	١٠٨	٢٣
الأعراف	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ... الآية﴾	١٨٩	١٧
	﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا... الآية﴾	٢٠٥	٦٧
التوبة	﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا... الآية﴾	٥١	٣٥
	﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ... الآية﴾	٩٠	٣٠
	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا... الآية﴾	١١٩	٣٥
إبراهيم	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ... الآية﴾	٤	٧
النحل	﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ... الآية﴾	١٠٥	٣٣
الإسراء	﴿وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ... الآية﴾	١١٠	٦٧
مريم	﴿لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلاَّ سَلامًا وَلَهُمْ... الآية﴾	٦٢	٦٤
	﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ... الآية﴾	٩٧	٧

www.mtenback.com

السورة	الآيـــة	رقمها	الصفحة
المؤمنون	﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ هُم... الآية﴾	١-٣	٥٥
	﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ... الآية﴾	٣	٦٤
النور	﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ... الآية﴾	١٥	٥٧
	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي.... الآية﴾	١٩	٢٢
الفرقان	﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ... الآية﴾	٦٣	٩
	﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ... الآية﴾	٦٨	٢٨
	﴿وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ... الآية﴾	٧٢	٢٨، ٦٤
الشعراء	﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ... الآية﴾	٨٤	٨
القصص	﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ... الآية﴾	٥٥	٦٤
لقمان	﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ... الآية﴾	١٧	٥١
	﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ... الآية﴾	١٩	٦٥
فصلت	﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ... الآية﴾	٣٤-٣٥	٢٤
الزخرف	﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً... الآية﴾	٥٧-٥٨	٧٢
الفتح	﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ... الآية﴾	١١	٧٥
الحجرات	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ... الآية﴾	١٢	٢٨،٣٨،٥٢
	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ... الآية﴾	٦	٥٠،٥١،٥٣
ق	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ... الآية﴾	١٦-١٨	٨
الرحمن	﴿الرَّحْمَنُ. عَلَّمَ الْقُرْآنَ. خَلَقَ الإِنْسَانَ. عَلَّمَهُ.. الآية﴾	١-٤	١٠
الواقعة	﴿لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا. إِلاَّ قِيلاً... الآية﴾	٢٥-٢٦	٦٤
	﴿إِنَا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً. فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا. عُرُبًا.. الآية﴾	٣٥-٣٧	٨٢
الحشر	﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا... الآية﴾	١٠	٤٢
المجادلة	﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ... الآية﴾	٣	٢٢

www.mtenback.com

السورة	الآيـــة	رقمها	الصفحة
القلم	﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ... الآية﴾	٩	٧٥
	﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ. هَمَّازٍ مَشَّاءٍ... الآية﴾	١٠-١١	٥٠
المدثر	﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ... الآية﴾	٤٥	٥٧
النبأ	﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا... الآية﴾	٣٥	٦٤
الهمزة	﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ... الآية﴾	١	٥٠

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
«... انهش منها...»	٤١
«آية المنافق ثلاث...»	٣٣
«أحبكم إلى الله أحاسنكم أخلاقاً...»	٥٠
«إذا لقيتم المداحين...»	٧٥
«ألا أنبئكم بأكبر الكبائر...»	٢٧
«ألا أخبركم بشراركم ؟ المشاؤون بالنميمة»	٤٩
«أما علمتِ أن الجنة لا يدخلها...»	٨٢
«أُمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم»	١٢
«أنا وأتقياء أمتي برآءُ من التكلف»	٦٥
«إن أبغض الرجال إلى الله الألدُّ الخصم»	٧١
«إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله...»	٥٧
«إن الصدق يهدي إلى البر...»	٣٣
«إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم...»	٧٢
«إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه...»	١٩
«إن خياركم أحاسنكم أخلاقاً»	٢٠
«إن العبد ليتكلم بالكلمة...»	٦١
«إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله...»	٨١
«إنهما يعذّبان، وما يعذّبان في كبير...»	٤٩
«إياكم والفحش...»	١٩
«أيا صهيب ! تأكل التمر على علّة عينيك...»	٨٢
«إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»	٢٨

www.mtenback.com

الحديث	الصفحة
«تحرّوا الصدق، وإن رأيتم فيه الهلكة...»	٣٥
«دعوني ما تركتكم إنما أهلك من كان قبلكم...»	٥٨
«سباب المؤمن فسوق...»	١٩
«الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني فيهما قصمته»	٧٢
«كفى بك إثماً ألا تزال مخاصماً»	٧٢
«كم دون لسانك من صحاب...»	٦٧
«لا تمارِ أخاك ولا تمازحه»	٨٠
«لقد قلتِ كلمةً لو مُزِجت...»	٤١
«لا يدخل الجنة نمام»	٤٩
«لا يدخل الجنة قتّات»	٤٩
«لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه...»	٩
«لعن الله المثلّث...»	٤٩
«... لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً»	١٩
«ليس المؤمن بطعان ولا بلعان ولا الفاحش البذيء»	١٩
«ما ضلّ قومٌ بعد هدي كانوا عليه إلا أوتوا الجدل»	٧٢
«المسلم مَن سلم المسلمون من لسانه ويده»	٩
«مَن ترك المراء وهو مبطل بني له بيت...»	٧٣
«من جادل في خصومة بغير علم...»	٧٢
«من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»	٥٦
«من كان منكم مادحاً أخاه لا محالة...»	٧٥
«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»	١٠
«أيكون المؤمن جباناً ؟ قال: نعم...»	٣٣

www.mtenback.com

الحديث	الصفحة
«وهل يكب الناس في النار على وجوههم...»	٦٠
«واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك...»	٧٧
«... ولم يكن سباباً ولا فحاشاً ولا لعاناً»	١٩
«ومن قذف مؤمناً بكفر فهو كقتله»	١٩
«ويلك قطعت عنق صاحبك...»	٧٥
«يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصمّ...»	٦٧
«يا معشر مَن آمن بلسانه...»	٤١

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأشعار

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـ ى ـ		
وإن تجد	علا	–	١	٤٤
القول	رمى	–	١	٦٣
		ـ ء ـ		
وإذا امرؤ	هجاءَهُ	–	٢	٧٨
		ـ ب ـ		
يقعّر	المعربَهْ	–	٢	٦٨
ولست	وسبّابَها	–	٣	٤٥
ومن يطع	المقرّبا	الأعشى	١	٥٣
يا أكثر	كذبُ	أبو تمام	١	٢٩
ولا أعرف	يعربُ	الموسوي	١	٢٠
ويأخذ	قريبُ	–	١	٣٩
لا يحمل	الغضبُ	عنترة	١	٤٢
إذا كنتَ	جوابُ	–	٢	٧٤
ألفت	قرّبوا	(أنشد) عمرو بن العلاء	٢	٣٥
فإياك	جالب	–	١	٧٠
وسمعك	النطقِ بهْ	–	٢	٢٤
الجِدُّ	يلعبِ	أبو تمام	١	٨١
وعدتَ	بيربِ	الأشجعي	١	٢٩
لا يكذبُ	الأدب	–	٢	٣١

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
إن النموم	الكذب	المبرد	١	٣٢
الصدق	الرب	محمود الوراق	١	٣٦
رُبَّ	الغيب	(أنشد) ابن الأعرابي	٢	٤٠
أبلغ	لصاحب	هشام بن عبدالملك	٢	٣٨
وأجرأُ	العيوب	–	١	٤٠
فمالك بالغريب	الغريب	أبو تمام	٢	٦٩
لا تحمدنَّ	تجريبِ	–	٢	٧٧
ـــ ت ـــ				
إذا نطق	السكوتُ	عمرو بن علي	٢	٢٥
الفكر	وبديَّة	–	١	٦٢
أرى	بالنزهات	سراقة البارقي	١	٢٧
ـــ ح ـــ				
أرفد	المزحِ	أبو الفتح البستي	٢	٨٣
ـــ د ـــ				
لنا جلساءُ	ومشهدا	أبو عبدالله بن الأعرابي	٤	٤٦
وأكبرُ	جهدُ	المتنبي	١	٣٩
تكلمْ	جمادُ	أبو الفتح البستي	٢	٦
عوِّد	معتادُ	–	٢	٣٦
خلَت	بالسؤدد	حارثة بن بدر الغُداني	١	٧٩
فما المال	فزوِّدِ	قيس بن الخطيم	٢	٦٥
ومَّما كانت	الفؤادِ	أبو تمام	١	٦٣

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
ولو عَنْ	اليدِ	امرؤ القيس	١	٢٢
جليسٍ	حبَرَه	كشاجم	٣	٤٥
النطق	مكثارا	–	٢	٥
ومطروفةٍ	تبصّرا	–	١	٤٠
رأيت	مغيرا	–	١	٥٩
فإن عبت	أعورُ	–	٢	٤٣
إني أتتني	سخَرُ	الأعشى	١	٨
حتى استكانوا	الإبَرُ	الأخطل	١	٢٣
باكرتُهم	الطائرِ	ثعلبة بن صعير	١	٥٥
وقد كان	يفري	–	١	٦٥
ـــ س ـــ				
صحيفةٌ	يئسا	(أنشد) ابن عبد ربه	٥	٣٠
خلق	الأخرسِ	–	٢	١٤
ـــ ش ـــ				
إذا الواشي	واشي	–	١	٥٢
ـــ ط ـــ				
أغرّك	سروطُ	–	٣	٦٧
ـــ ظ ـــ				
من الناس	يلفظُ	أبو العلاء المعري	٢	٦٩
ـــ ع ـــ				
واعصوا	المنقعُ	عبدة بن الطبيب	٧	٥١

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـ غ ـ		
وأخرقَ	بمُسيغِ	ابن رشيق القيرواني	٢	٧٤
		ـ ف ـ		
وحمال	المتكلفُ	ابن قمينة	١	٦٦
		ـ ق ـ		
وزنِ	المنطقُ	–	١	٩
عدس	طليقُ	يزيد بن مفرّغ	١	٦٠
قد علم	ملصَقُ	مورق العبد	٦	٦٦
قوم	رنقُ	إبراهيم بن هرمة	٢	٣٧
وللناس	صدوقُها	أبو العتاهية	١	٣٦
إني نصحتك	شفيقِ	مسعر بن كدام	٣	٧٣
		ـ ك ـ		
من يخبِّرْكَ	شتمكْ	صالح بن عبدالقدوس	٢	٥٢
لا تقبلنّ	أنباكها	–	٢	٥١
لا تهتكن	مساويكا	–	٢	٤٤
		ـ ل ـ		
أنت الفتى	تقولْ	–	٢	٣٣
لي حيلةٌ	حيلَهْ	–	٢	٣٢
إن الكلام	دليلا	–	١	٥
واعلم	خبالا	بعض الكلبيين	١	٦٣
وإذا خطبتَ	مختالا	–	٢	٦٨

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
خير	دليلُ	أحمد بن إسماعيل الكاتب	٢	٦١
أعندي	سائلُ	أبو العلاء المعري	١	٢٦
عيٌّ	فكليلُ	–	٢	٢٠
بلا رحمة	القتلُ	–	١	٧٤
إذا جد	باطلُهْ	الأبيرد	١	٨١
لسان	آكلُهْ	الخشني	١	٥٩
كانت	الأباطيلِ	كعب بن زهير	١	٢٩
يغسل	البوالي	يزيد بن مفرّغ	١	٦٠
والسامع	كالآكلِ	–	٢	٤٤
أذنٌ	تُقفَلِ	أبو تمام	١	٢٠
أروّحُ	جهلِ	أبو نواس	٢	٨١
ومن دعا	بالباطل	–	٢	٢٦
وما شيءٌ	الجمالِ	–	٢	٢٧
— م —				
عجبتُ	أعلما	الخَطَفَى	٢	١٢
لا تنهَ	عظيمُ	أبو الأسود الدؤلي	٢	٤٤
لك الخير	تليمُ	–	٢	٤٣
وصُنْ	تتفهم	–	٢	٦٢
على قدر	المكارمُ	المتنبي	١	٨٣
وجرحُ	دامي	–	١	٢٣
فأنتَ	بلا علمِ	زياد الأعجم	٢	٥٣
إذا ساءَ	توهُّمِ	المتنبي	١	٢٨

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
لسان	الدمِ	–	١	٥
ندمتُ	عكْمِ	الحطيئة	١	٧
ومهما تكن	تعلمِ	زهير بن أبي سلمى	١	٧٦
مُت	الكلام	أبو نواس	٤	٥٥
لن يدرك	لأقوامِ	–	٢	٢٤
ـــ ن ـــ				
ألا ليت	المسلمينا	يزيد بن مفرّغ	١	٦٠
وجرح	اللسانُ	–	٢	٢٢
والصمت	يشينه	أحيحة بن الجلاح	٢	٦٢
فلا ويمينُ	ظنينُ	عبدالرحمن بن حسان	١	٢٨
وما حسن	البيانُ	–	٢	١٤
صداع	بيانُ	ابن لنكك البصري	٢	٦٩
أقلل	مقرونُ	–	١	٥٧
إذا رمت	صيّنُ	الإمام الشافعي	٣	٤٣
تعمّده	التداني	منصور الفقيه	٢	٦١
لخليلي	إخواني	–	٤	٤٦
دقات	وثواني	أحمد شوقي	١	٥٩
ولقد أمرّ	يعنيني	–	٢	١٨
إذا المرء	بخزّانِ	–	١	١٧
والصمتُ	حينه	أبو العتاهية	٢	٩
ـــ ي ـــ				
حسب	عليّهْ	–	٢	٣١

www.mtenback.com

فهرس الأمثال

المثـــل	الصفحة
«لا تُحمد أمَةٌ عام اشترائها ولا حُرّة عام بنائها»	٧٧
«لو لم يترك العاقل الكذب إلا للمروءة لكان حقيقاً بذلك، فكيف وفيه.....»	٣٥
«ليس لكذوب رأي»	٣٣
«المعاذِر مَكاذب»	٢٩
«المعاذير قد يشوبها الكذب»	٢٩
«علة الكذوب أقبح علّة، وزلة المتوخي أشد زلة»	٣٢
«مقتل الرجل بين فكّيه»	١٠
«من عرف بالكذب لم يحز صدقه»	٣١
من كثر كلامه كثرت أثامه»	٥٩
«النمام سهم قاتل»	٤٧

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

المصادر والمراجع

القرآن الكريم:

الأبشيهي، محمد بن أحمد:

المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق: إبراهيم صالح، بيروت، دار صادر، ط١ ١٩٩٩م.

الأخطل، غياث بن غوث التغلبي:

شعر الأخطل، صنعة السكري، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، مجلدان.

الأرزنجاني، أويس وفا بن محمد:

منهاج اليقين شرح أدب الدنيا والدين، ١٣٢٨هـ.

الأصفهاني، أبو الفرج على بن الحسين:

الأغاني، مؤسسة جمال للطباعة والنشر مصور عن طبعة دار الكتب، بيروت، د.ت.

الأعشى، ميمون بن قيس:

ديوان الأعشى الكبير، تحقيق: د. محمد أحمد قاسم، بيروت، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

الأنصاري، أبو زيد سعيد بن أوس:

النوادر في اللغة، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٢، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

امرؤ القيس، بن حجر بن الحارث الكندي:

ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف بمصر، ط٣، د.ت.

www.mtenback.com

أنيس، إبراهيم:

المعجم الوسيط، القاهرة، مجمع اللغة العربية مطابع دار المعارف بمصر ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل:

صحيح البخاري، تحقيق: د. مصطفى البغا، دمشق، دار العلوم الإنسانية ط٢، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

البستي، أبو الفتح، علي بن محمد بن الحسين:

ديوان أبي الفتح البستي، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

البيهقي، إبراهيم بن محمد:

المحاسن والمساوئ، بيروت، دار صادر، ودار بيروت، ٣٨٠هـ/١٩٦٠م.

الترمذي، محمد بن عيسى:

الجامع الصحيح، تحقيق: أحمد محمد شاكر وإبراهيم عطوة عوض، بيروت، دار صادر، التراث العربي.

أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي:

ديوان أبي تمام، تقديم وشرح: د. محيي الدين صبحي، بيروت، دار صادر، ط١ ١٩٩٧م.

التوحيد، أبو حيان، علي بن محمد بن العباس:

البصائر والذخائر، تحقيق: وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٩٨م.

تيمور أحمد:

علي بن أبي طالب شعره وحكمه، لجنة نشر المؤلفات التيمورية، القاهرة، ط١، ١٣٧٨هـ/١٩٨٥٨.

www.mtenback.com

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر:

البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، دمشق، دار الفكر، د.ت.

الجيلاني، فضل الله:

فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد، حمص، سوريا، المكتبة الإسلامية.

الميداني، عبد الرحمن بن حبنكة:

الأخلاق الإسلامية وأسسها، دمشق، دار القلم، ط٣، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

الحطيئة، جرول بن أوس:

ديوان الحطيئة برواية ابن السكيت وشرحه، تحقيق: نعمان محمد أمين طه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

الحلبي، عيسى البحتري:

أنس المسجون وراحة المحزون، تحقيق: محمد أديب الجادر، دمشق، دار البشائر، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

الحِلّي، صفي الدين:

ديوان صفي الدين الحلي، بيروت، دار صادر، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

الحمصي، هشام عبد الرزاق:

عيون الأشعار وروائع الأفكار، دمشق، بيروت، دار الكلم الطيب، ط٢ ١٤١٨هـ /١٩٩٨م.

الحموي، ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله:

معجم الأدباء، بيروت، دار المستشرق، د.ت.

www.mtenback.com

ابن حنبل، أحمد بن محمد:

المسند، تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة، دار الحديث، ط١ ١٤١٦هـ ١٩٩٥م، ٢٠ جزءاً.

خرما، نايف:

أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، والكويت، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ١٩٧٨م.

أبو داود، سليمان بن الأشعث:

صحيح سنن أبي داود، صحح أحاديثه: محمد ناصر الدين الألباني، الرياض مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط١ ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد:

الصمت وآداب اللسان، تحقيق: محمد بن عبد القادر أحمد عطا موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا، المجلد الخامس بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ط٢ ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد:

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، حوادث ووفيات (١٤١- ١٦٠هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط٢، ١٩٨٩م.

كتاب الكبائر وتبيين المحارم، تحقيق: محمد محيي الدين مستو، دمشق، بيروت، دار ابن كثير، ط٢، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

الراغب الأصبهاني، حسين بن محمد:

محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، بيروت، دار مكتبة الحياة.

www.mtenback.com

ابن رشيق القيرواني، الحسن:

العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محيي الدين، عبد الحميد، بيروت، دار الجيل.

الزبيدي، محمد بن الحسن:

طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف بمصر، ط٢.

الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق:

مجالس العلماء، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة والرياض، مكتبة الخانجي ودار الرفاعي، ط٢ ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م.

الزركلي، خير الدين:

الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٨٠م.

الزمخشري، محمود بن عمر:

- أساس البلاغة، تحقيق: عبد الرحيم محمود، بيروت، دار المعرفة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

- ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق: سليم النعيمي، دار الذخائر للمطبوعات، قم، إيران، ط١، ١٤١٠هـ.

زهير بن أبي سلمى:

ديوان زهير بن أبي سلمى، شرح وتعليق: أحمد طلعت، بيروت، مؤسسة دار البيان ودار القاموس الحديث، ط٢، ١٩٧٠م.

السراج، محمد علي:

درر وتحف من تراث السلف، دمشق، منشورات وزارة الثقافة ١٩٨٦م.

www.mtenback.com

السكري، الحسن بن الحسين:

شرح ديوان كعب بن زهير، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط١ ١٣٦٩هـ /١٩٥٠م.

السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر:

الجامع الكبير، مخطوط دار الكتب المصرية، د.ت.

الشافعي، الإمام محمد بن إدريس:

ديوان الإمام الشافعي، جمعه وشرحه: نعيم زرزور، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

شاكر، محمود محمد:

أباطيل وأسمار، القاهرة، مكتبة الخانجي، د.ت.

الشريف الرضي، محمد بن الحسين الموسوي:

نهج البلاغة لأمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب، تحقيق: الشيخ عزيز الله العطاردي، مؤسسة نهج البلاغة بإيران، ط٢، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

شوقي، أحمد:

ديوان الشوقيات، دار العودة، بيروت، ١٩٨٣م.

طليمات، غازي مختار:

في علم اللغة، دمشق، دار طلاس، ط١، ١٩٩٧م.

ابن عبد ربه الأندلسي، أحمد بن محمد:

العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين وآخرون، بيروت، دار الكتاب العربي ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

أبو العتاهية، أبو إسحاق إسماعيل القاسم:

أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تحقيق: د. شكري فيصل، دمشق، مطبعة جامعة دمشق ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م.

www.mtenback.com

العدناني، محمد:

معجم الأخطاء الشائعة، مكتبة لبنان، ط٢، ١٩٨٣م.

العجلوني، إسماعيل بن محمد:

كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، صححه وعلق عليه أحمد القلاش، مكتبة التراث الإسلامي، حلب، د.ت.

عمرو بن قميئة الضبعي:

ديوان عمرو بن قميئة، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، جامعة الدولة العربية، القاهرة، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

عنترة بن شداد العبسي:

ديوان عنترة، بيروت، دار صادر، ط٢ ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد:

إحياء علوم الدين، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، د.ت.

الغزالي، محمد:

خلق المسلم، مصر، دار الكتب الحديثة، ط٧، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

الغزي، أبو البركات محمد بن محمد:

المراح في المزاح، بعناية: بسام عبد الوهاب الجابي، بيروت، الجفان والجابي ودار ابن حزم، ط١ ١٤١٨هـ/١٩٩٧م

القاري، منلا علي بن سلطان:

شرح عين العلم وزين الحلم، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية.

ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري:

عيون الأخبار، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ت.

www.mtenback.com

القرطبي، يوسف بن عبد الله بن عبد البر:

بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس، تحقيق: محمد مرسي الخولي، بيروت - دار الكتب العلمية، مجلدان ط٢، ١٩٨١م.

قيس بن الخطيم، أبو يزيد بن عدي:

ديوان قيس بن الخطيم، تحقيق: ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

ابن ماجة، محمد بن يزيد:

سنن ابن ماجة، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

المالح، ياسر:

سر الإنسان بهذا اللسان، محاضرة ألقيت في المركز الثقافي العربي بدمشق ٢٩ نيسان ١٩٩٧م.

الماوردي، أبو الحسن علي البصري:

أدب الدنيا والدين، تحقيق: د. محمد صبّاح، بيروت، دار مكتبة الحياة ١٩٨٧م.

المبرد، أبو العباس بن يزيد الأزدي:

الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: د. محمد الدالي، دار الرسالة، بيروت.

المتنبي، أبو الطيب، أحمد بن الحسين:

ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح: أبي البقاء العكبري، تحقيق: مصطفى السقا وزميليه، القاهرة، شركة مطبعة، مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الأخيرة، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

www.mtenback.com

مسلم بن الحجاج القشيري:

صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٢ ١٩٧٢م.

المعري، أبو العلاء، أحمد بن عبد الله بن سليمان:

ديوان سَقط الزَّند، تحقيق: عمر فاروق الطباع، بيروت، دار الأرقم ابن أبي الأرقم، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

المقدسي، ابن قدامة، عبد الله بن أحمد بن محمد:

مختصر منهاج القاصدين، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط وشعيب الأرنؤوط، دمشق، مكتبة دار البيان.

المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله، محمد بن مفلح:

الآداب الشرعية والمنح المرعية، دار العلم للجميع، بيروت، ١٩٧٢م.

المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي:

الترغيب والترهيب، تحقيق: محيي الدين مستو وزملائه، دمشق، بيروت، دار ابن كثير، ط٢ ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

ابن منظور، محمد بن مكرم:

لسان العرب، بيروت، دار صادر، د.ت.

الميداني، أبو الفضل، أحمد بن محمد:

مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دمشق، بيروت، دار النصر.

أبو نواس، الحسن بن هانئ:

ديوان أبي نواس، بيروت، دار صادر، ط٢، ١٤٢١٨هـ /١٩٩٨م.

www.mtenback.com

النووي، يحيى بن شرف الدين:

- الأذكار، تحقيق: محمد أديب الجادر، دمشق، دار البشائر، ط١ ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

- رياض الصالحين، تحقيق عبد العزيز رباح وأحمد يوسف، الدقاق، دمشق، دار المأمون للتراث، ط٢.

ابن هرمة، إبراهيم:

ديوان إبراهيم بن هرمة، تحقيق: محمد جبار المعيبد، العراق، مطبعة الآداب في النجف الأشرف ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

وافي، علي عبد الواحد:

اللغة والمجتمع، القاهرة، دار نهضة، مصر، ١٩٧١م.

الورّاق، محمود:

ديوان محمود الوراق، تحقيق: د. وليد قصّاب، عجمان، مؤسسة الفنون، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

الوطواط، محمد بن إبراهيم الكتبي:

غرر الخصائص الواضحة وغرر النقائض الفاضحة، دار صعب، بيروت، د.ت.

www.mtenback.com